9me Année No. 417

Lundi - 30 - 6 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣٠ يونية سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤١٧

الفهـــــرس

فى الـــــزواج

للأستاذ عباس محمود العقاد

بعد القصص الغرامى أو قصص الحوادث الأخاذة ، لا أحسب أن الجمهرة الغالبة من القراء يهتمون بموضوع عام كاهتمامهم بالموضوعات الاجتماعية التى لها مساس بالرزق أو مساس بالعلاقات بين الجنسين ، وعلى رأس هذه الموضوعات الحب والزواج ؛ لأن الأمر فى هذه الموضوعات وما إليها لا يقتصر على الأفكار المجردة أو البحوث الأفلاطونية التى يشتغل بها الدارسون وأصحاب النظر والتأمل دون غيرهم ، ولكنه يشمل المسائل اليومية التى تعرض لكل إنسان فى حياته الخاصة ، وينتقل إلى المحسوسات التى لا محيد عنها لمفكر ولا غير مفكر ، والتى يعيش المرء مائة سنة وهو خلو من التفكير فى شأن من الشؤون المجردة ، ولكنه لن يخلو من معاناتها والانغماس فيها بحال

لهذا عرضتنى الكتابة فى موضوع الزواج لكثير من الطرائف التى تصلح للفكاهة كما تصلح للدرس والعناية . ومنها أننى سئلت لماذا لم أتزوج ؟ وسئلت هل من حرج على المصرية المسلمة أن ترضى الزواج بالأجنبي الذى يحبها ويدين بالإسلام لأجلها ؟ وسئلت : ما هو الفرق بين المرأة التى يرتضيها الرجل حليلة والمرأة التى يرتضيها خليلة ؟ وهل معنى هذا الفرق أن الحليلات مفضلات

على الحليلات ، أو أن الخليلات مفضلات على الحليلات ؟ وأيهما أصعب وأندر : شروط الحليلة أو شروط الخليلة ؟ إلى أمثال ذلك من الأسئلة التي خيل إلى وأنا أتلقاها بالتليفون أو بالبريد ، أنني أثرت خلية من النحل على غير عمد ، وأنني أنا الجاني على نفسي بما أثرت !

أما من سألني لماذا لم أتزوج فكان جوابي له أن الزواج قيد ، وأنني عشت حياتي كلها في مخاطرة لا غنى لصاحبها عن الطلاقة والحرية ، وأنني بعد هذا وذاك أقول ما قاله الخليل بن أحمد حين سئل في قرض الشعر ، فأجاب : إن الذي يرضاه من الشعر لا يجيئه ، وأن الذي يجيئه منه لا يرضاه !

وأما المصرية المسلمة التي يبنى بها الأجنبي المسلم فلا حرج عليها فيما أعلم . ولست أنا من المتشددين في منع السلالات الإنسانية أن تمتزج على السنة المرضية . بل قد مضى لي زمان كنت أسف فيه لقاح الجنس المصري والأجناس القوية علاجاً من داء الركود والضوى

وأما الفرق بين شروط الحليلة وشروط الخليلة فالتمثيل هنا أجدى من الإفاضة في التحليل : الفرق بينهما كالفرق بين شروط البيت وشروط الفندق ، أو كالفرق بين مطالب الإقامة ومطالب السياحة، أو كالفرق بين دوافع الطبيعة وروابط الهيئة الاجتماعية، أو كالفرق بين الواجب والهوى وبين الدرس والقصيدة ... ومن لم يفهم الفرق بينهما من هذا التمثيل ، فما هو بفاهمه من الإفاضة في التحليل

على أنني تلقيت من الأسئلة في موضوع الزواج ما هو أقرب إلى الجديات والشئون الجوهرية ، ومنها السؤال عما يزعمه الزاعمون قسوة من الشريعة أو العرف على المرأة الخائنة ، وإجحافاً منها في التمييز بين حقوق الرجال وحقوق النساء

ورأيي أنا أن المرأة أسعد حظاً في مسألة الخيانة من الرجل بحكم الطبيعة التي لا حيلة لأحد فيها . فمن الإنصاف أن يكون الرجل أسعد حظاً في مسألة الخيانة بحكم العرف والشريعة

فالرجل يخون المرأة التي يحبها ، ولكنه لا ينسب إليها ولداً من غيرها ، ولا يستطيع أن يخدعها في صدق أمومتها لأبنائها ، وهذا ضمان عظيم لا يظفر الرجل بنصيب منه بالغاً ما بلغ حرصه واطمئنانه . ولكن المرأة تسلط على الرجل عذاباً لا عذاب مثله، أو غفلة لا غفلة مثلها، كلما خانته وجاءته بولد من غيره وهو منسوب إليه ، وكل جور من العرف أو القانون في التمييز بين الجنسين ، فإنه لرحمة الرحمات بالقياس إلى هذه المزية التي ضمنتها المرأة ضماناً لا يتطاول إليه عرف ولا قانون

كذلك يحق للمرأة أن تلوم الطبيعة قبل أن تلوم الشريعة في التمييز بين حقوق الرجال والنساء ، أو بين حقوق الذكور والإناث .

فالمرأة إذا حملت لم تحمل مرة أخرى في بطن واحد ، ولكن الرجل ينسل مئات المرات وهي لا تنسل إلا هذه المرة الواحدة . فليس من الطبيعي إذن أن يطالب الرجل بالوفاء الجسدي الذي تطالب به المرأة ، وليس هذا من مقتضيات حفظ النوع ولا من مقتضيات تركيب البنية الجسدية

ويحق للمرأة أن تلوم الطبيعة قبل أن تلوم الشريعة في ناحية أخرى من نواحي التفرقة بين الجنسين ، وهي شيخوختها وفقدانها المزية الجنسية قبل أن يفقدها الرجل بعشرات السنين ، لأن الولادة تجهدها وتضنيها وتجور على محاسنها وقواها

على أن الطبيعة قد عوضتها عن هذا أنها تستغرق في الجنس وتستغرق في الحب وتستغرق في الأمومة ، فهي تأخذ في أربعين سنة من نصيب الشواغل الجنسية وشواغل النسل ما ليس يأخذ رجل في ثمانين ، لانصرافه إلى ما عدا ذلك من فروض الحياة .

* * *

وبحث آخر قد حركته الأسئلة التي أثارتها كتابتي عن موضوع الزواج ، وهو تشجيع الزواج بالقوانين أو بفرض الضرائب على العزاب

وعندي أنه رأي خاطئ من شتى الوجوه ، لأنه يستبقي عيوب الزواج التي ينبغي أن تزول ، ولعلها لا تزول إلا بالإعراض عن الزواج في بعض الأحوال

مثال ذلك عيب المغالاة بالمهور ، فلو أن القوانين أكرهت الناس على الزواج لبقي هذا العيب ولم يشعر أحد بضرورة العدول عنه كما شعر الأكثرون في مصر من جراء الإعراض عن مرهقات الزواج وفي مقدمتها المهور . ولقد بلغ من شعورهم به

أن بعض الموسرين جعلوا من أنفسهم قدوة للفقراء بالإقلال من قيمة المهر حتى نزلوا به إلى دراهم لا تتم الدينار

ومثال ذلك عيب الإغراق في الحجاب والتهاون في تزويد الشابات بمحاسن التعلم والتجميل التي ترغّب فيهن الشبان . فلولا الإعراض عن الزواج حيناً لما التفت أحد إلى هذا العيب ، ولوجب على الشاب أن يتزوج بحكم القانون لا بحكم التفضيل والاستحسان . وهل يجئ التفضيل والاستحسان إلا من التنافس في الفضائل والحسنات ؟ وهل يجئ التنافس في الفضائل والحسنات إذا أكره الناس على الزواج وكان الباعث لهم إليه أنهم يفرون من وطأة الضرائب وفرائض الإلزام ؟

ومثال العيوب التي يبقيها التشجيع على الزواج بالدوافع المصطنعة والزواجر القانونية عيب العرف الذي تتبعه الفتيات في تفضيل شاب على شاب وصناعة على صناعة

فالقانون يفرض الضريبة على الشاب الذي لم يتزوج ولا يفرض مثلها على الفتاة التي ترفض هذا الفتى لأنه تاجر وليس بموظف ، أو ترفض فتى غيره لأنه موظف وليس بضابط ، أو ترفض فتى آخر لأنه سيقيم في الأقاليم ولا ينوي الإقامة في العواصم ، وليس هذا من العدل في التشريع ، ولا هو من مصلحة الفتيات أو مصلحة الزواج .

والأولى بالشرائع أن تعنى بأمرين هما خير من العناية بالإكراه على الزواج ، إذا كان الغرض من الإكراه على الزواج زيادة النسل وقلة الفساد :

الأولى بالشرائع أن تعنى «أولاً» بتصحيح أجسام المولودين وتصحيح أجسام الآباء والأمهات قبل الزواج

فلو أن ألفاً من المرضى والعجزة والفاشلين تزوجوا ورزقوا البنين والبنات لما كان هذا مانعاً أن يموت معظم المولودين في سن الطفولة ، وأن يعيش من يعيش بعد ذلك أفشل مما عاش الآباء والأمهات

وخير من هذا أن تُتحرى الصحة في طلاب الزواج ، وأن تتحرى التربية التي تصون حياة الأطفال من عبث الجهل والإهمال

والأولى بالشرائع أن تعنى « ثانياً » بتبغيض الناس في الفساد لا بمجرد الحجر عليهم وهم يشتهونه ويقبلون عليه

وإنما يصبح الفساد بغيضاً إذا كانت الاستقامة أطيب منه وأمتع وأدنى إلى الأنفس والأيدي ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كانت الأخلاق المفروضة على الناس أخلاقاً غير معقولة ولا مستندة إلى سند غير التقليد والاستمرار ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كانت بطالة الأغنياء وعوز الفقراء دافعين ملحين إلى الترف وبيع الأعراض ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كان فساد الأزواج كفساد العزاب ، ولم يكن الزواج وحده عصمة لذويه على اختيار أو على اضطرار

* * *

وبعد فقد كتبنا عن الزواج مقالاً بعد مقال ؛ فهل نستطيع أن نكتب في هذه المسألة الاجتماعية الإنسانية على الأسلوب الذي كتب به برتراند رسل الإنجليزي، وليون بلوم الفرنسي، وغيرهما من كتاب أوربا الوسطى ؟

أما أنا فأستطيع !

وأما الشك كل الشك فهو في استطاعة كثير من القراء الشرقيين أن يستمعوا لآراء كتلك الآراء ، ولو ليخالفوها أو يتبينوا ما فيها من الأخطاء !

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

كلام ينفع ! — فائدة تاريخية — أساطير الأولين — اختراع الأحاديث — محاربة الوثنية — الحصار الفنى فى الاسلام — إلى معالى وزير الأوقاف — أجيبوا ، يا أصدقاء الرسالة — الأجاج — بلد الأستاذ أحمد أمين — بين الرسالة والثقافة — أيام وأيام — يوم البعث

كلام ينفع !

لقينى بعض الأصدقاء وهو منزعج أشد الانزعاج ، فقلت : ماذا بك ؟ فأجاب : صديقى فلان كان يلقانى فى كل يوم ؛ ثم انقطعت عنى أخباره منذ أيام ، وأنا أخشى عليه كوارث هذه الأوقات السود

فقلت : هل كان يحاول الانتفاع بجاهك فى شأن من الشؤون ؟

فقال : وما الموجب لهذا السؤال ؟

فقلت : إن كان ذلك فلا تضجر ولا تنزعج ، ولا تتوهم أن سيارة داسته ، أو أن قنبلة سقطت عليه ، وإنما يجب أن تسر وتفرح ، لأن انقطاعه عنك ليس إلا أمارة على أن تعبك فى خدمته قد وصل به إلى ما يريد ، فاستغنى عن التودد إليك !

فقال : أكذلك يكون إخوان هذا الزمان ؟

فقلت : كذلك كان الإخوان من قديم الزمان ، وسيكونون كذلك إلى آخر الزمان !

فقال : ولكنى مع ذلك مشتاق إليه أشد الاشتياق

فقلت : صبراً ثم صبراً ، فستشبع من رؤيته يوم يحتاج إليك ، وسيحتاج ثم يحتاج ، لأن الله كتب الفقر على من ينكرون الجميل

فائدة تاريخية

كان العرب يؤرخون بواقعة الفيل ، قبل أن يؤرّخوا بهجرة الرسول ، فكيف كانوا يؤرخون قبل هلاك أصحاب الفيل؟

أرّخ الدميرى هجوم أبرهة على الكعبة بأنه كان فى أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين

فهل يتفضل أحد كتاب (الرسالة) بتحقيق هذا التاريخ ؟

المعروف جيداً أن العرب قبل الإسلام قد اختلفوا فى التوقيت ، وذلك يشهد بتأثرهم للحركة العلمية عند المصريين والكلدانيين ، فهل يمكن الوصول إلى معرفة ما كانوا عليه فى التأريخ قبل أن ترج أذهانهم واقعة الفيل ؟

والمعروف أيضاً أن العرب قبل الإسلام كانت لهم صلات قوية أو ضعيفة بأمم ذلك العهد ، وجرتهم تلك الصلات إلى وقائع لا تمر بدون ضجيج تتناقله الأجيال ، وإن مرت بدون تدوين يحدد مواقعها من التاريخ

على أنه ليس من المستغرب أن يكون العرب أرّخوا بموت ذى القرنين ، فقد كان له فى أذهانهم صورة صخّابة ضجّاجة ، ولولا ذلك لسكت عنه القرآن ، لأن القرآن لم يذكر من حوادث التاريخ إلا ما كان له فى أذهان العرب وجود برّاق ، ليتم الغرض من الاعتبار المنشود .

أساطير الأولين

و « أساطير الأولين » كلمة قرآنية يحكيها القرآن عن العرب الذين يطيب لهم أن يشككوا فيما رواه من أخبار القدماء وهذه الكلمة تشهد بأن جمهور العرب فى تلك الأيام كان يملك ملامح من صور النقد الأدبى ، فقد كانوا بشهادة القرآن يقسمون الأخبار إلى قسمين : صحيح ومدخول ، وكان من سياستهم فى مقاومة الدعوة الإسلامية أن يضيفوا أخبار القرآن إلى القسم المدخول فيجعلوها من أساطير الأولين . وما صدّق من عاندوا القرآن ، ولكن إصرارهم على مقاومته بهذا الأسلوب يشهد بما كانوا عليه من مكر ودهاء ، وهما من صور الذكاء

اختراع الأحاديث

والذى يراجع كتب التفسير وكتب الأخبار يعجب للثروة الأدبية التى سايرت قَصَص القرآن ، وهى ثروة لم تورث كلها عن عرب الجاهلية ، وإنما ابتدعها فريق من الجاهليين وفريق من الإسلاميين ، وهى فى جملتها شاهد على براعة العرب فى ابتداع الأسمار والأحاديث

ولو اهتمّ كاتب بتلفيق[1] ما اخترع العرب من الأقاصيص المتصلة بالسور القرآنية لكان لنا من ذلك « إلياذة » عربية

(١) المراد بالتلفيق ضم ما تناسب من الأخبار بعضها مع بعض

تفوق الإلياذة اليونانية ، وتشهد بأن العرب لا يقلون عن اليونان فى سمة التصور وقوة الخيال

فتى يوجد ذلك الكاتب ؟ ومتى نرجع لماضينا فنعرف ما كان فيه من تصاوير وتهاويل ، ليضعف الوهم القائل بأن نصيب العرب من التخيّل قليل ؟

محاربة الوثنية

ولكن ما الذى دعا العرب إلى وقف تلك الحركة الفنية ، بحيث يُظَنّ أنهم أقل الأمم عناية بزخرفة الأخبار المتصلة بالدين ؟

يرجع ذلك إلى تأثرهم بالقرآن فى محاربة الوثنية ، وهذه الدعوة السليمة فى جوهرها كانت السبب فى صرف كثير من الأمم الإسلامية عن الزخارف الأدبية والفنية ، لأن الزخرف الأدبى والفنى لا يقوم إلا على التلوين والتزيين ، وذلك ممنوع فى نظر رجال الدين ، لأنهم يرون الافتتان فى زخرفة الأخبار الدينية أمراً لا يليق ، فقد يسوق الناس إلى الوثنية من حيث لا يشعرون

الحصار الفنى فى الإسلام

ما معنى هذا التعبير الغريب ؟

أنا مُقبِل على عرض مسألة فنية كان لها تأثير فى تضييق نطاق الدعوة الإسلامية ، وما أحب أن يتهمنى أحدٌ بسوء النية ، فلى غرضٌ شريف أرجو به من الله الثواب

ماذا أريد أن أقول ؟

أقول بصراحة إن الإصرار على تجريد المبادئ الإسلامية من الزخارف الفنية كان له تأثير فى عرقلة الدعوة الإسلامية ، لأن الذين حرّموا التصوير وقاوموا الأساطير نسوا أن فى الدنيا ملايين لا تقاد لأية فكرة دينية إلا إن كانت موشّاة بالزخرف والخيال !

ولهذا السبب ضاعت الفرصة فى إسلام الأمة الروسية ، حين فكرت فى اعتناق إحدى الديانات السماوية ، منذ بضع مئات من السنين

ظلت روسيا على عقائدها الوثنية إلى ما بعد ظهور الإسلام بأزمان طوال ، ثم بدا لها أن توازن بين المسجد والكنيسة ، فهالها أن ترى المسجد محروماً من البريق والرُّواء ، وراعها أن ترى الكنيسة تحفة من الفن المرصّع بغرائب الخيال

وسألت روسيا بعض علماء المسلمين عن قواعد الإسلام فكان أول ما سمعت هو القول بتحريم الخمر ، مع أن نبىّ الإسلام لم يحرم الخمر إلا بتلطف واستدراج

وكذلك كانت غفلة الدعاة عن سياسة القول سبباً فى منع الإسلام من دخول البلاد الروسية ، كما كانت خشونة المساجد من أسباب الانصراف عن هذا الدين الحنيف

وأقول أيضاً : إن الحكمة فى تجريد المساجد من الزخرف كان لها مكان فى بداية الدعوة الإسلامية ، فما مكانها اليوم ولم يبق أثر للخوف من رجعة الوثنية ؟

يجب أن يكون لمساجدنا نصيبٌ وافر من الزخارف الفنية ، ويجب أن تكون على جانب عظيم من الرونق والبهاء ، ويجب أن نشعر بأن جمالها يذكّر بجمال الفردوس ، لتكون الواحة التى نأنس إليها عند الفرار من هجير الشقاء فى طلب المعاش

ما هذا الأزهر القفر الموحش ؟

ألا تمتد إليه يد فتنقله من حال إلى أحوال ؟

وما جامع عمرو فى بلائه بالدنيا والزمان ، وهو أول مسجد أقيم فى هذه البلاد ؟

وما هذه الخرائب المنثورة فى الحواضر والعساكر على أنها مساجد ؟

أفيقوا من غفلتكم ، يا دعاة التقشف المدسوس على الدين ، وتذكروا مرة واحدة أن تجميل المساجد من أبواب الاقتصاد ، لأنه يغنى الناس عن تبديد أموالهم فى المشارب والقهوات ، وبأى حق تكون بيوتكم أجمل من بيوت الله ، إلا أن تكون نياتكم أقيمت فوق خرائب وأطلال ؟

الى معالى وزير الأوقاف

وهو اليوم رجل بارع الأدب ، وافر الذوق ، متين الدين ، وكأنه صورة من محمد عبده أو عبد العزيز جاويش ، إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا أوجه القول :

فى هذه الأيام — ولعل هذا من وحى خاطرك — أخذت وزارة الأوقاف تتأنق فى بناية العمارات المرصدة للاستغلال ، فلم يَعُد « بيت الوقف » كالذى كان فى ذهن حافظ إبراهيم وهو يداعب صديقه حفنى ناصف ، وإنما صار « بيت الوقف » بَنِيّة تنافس بَنِيّة « الجراند أوتيل » فى باريس ، وصار طلاب المنافع عن طريق العمارات الشواهق يخشون منافسة وزارة الأوقاف

فهل ترى من الخروج على عنجهية بعض المشايخ أن يكون

في كل حاضرة مسجد أو مسجدان أو مساجد على أحدث طراز من التأنق في الزخارف الفنية ؟

أنت فرصة من الفرص السوانح ، يا مصطفى باشا ، فلن تكون وزارة الأوقاف إلى رجل مثلك في كل وقت ، فبادر إلى تجميل بيوت الله ، ليزيدك الله جمالاً إلى جمال ، وكمالاً إلى كمال ، وليكون أسلوبك في الإصلاح ، شبيهاً بأسلوبك في الإفصاح

أجيبوا ، يا أصدقاء الرسالة

لنا صديق من رجال الأدب يحاول أن يحتكم إلى العقل في جميع المشكلات ، فما مشكلة اليوم عند هذا الصديق ؟

هو يوازن بين الاحتلال والاستقلال ، ومن رأيه أن الاستقلال وسيلة لا غاية ، فإذا تمت نعمة الرخاء مع الاحتلال فلا موجب لوجع الدماغ في طلب الاستقلال

وأنا أنتظر آراء أصدقاء الرسالة في هذا الرأي الطريف لأنه بالتأكيد من الآراء التي تساور مَنْ منامهم الأمان بنعمة العافية في ظلال الاحتلال !

الأجاج

أشرت في أحد الأحاديث إلى الأجاج ، فما الأجاج ؟

هو نوع من السمك الجيد ، وكان يوجد بالبحيرات المصرية ثم انقرض ، ولكن كيف انقرض ؟

كان الصيادون لجشعهم ، لا لجهلهم ، يضيقون عيون الشباك ليجترفوه بالمئات ، فكان من أثر هذا الجشع أن انقرض ذلك النوع من السمك النفيس

حدثني بهذا الأستاذ عبده حسن الزيات تأييداً لما كنت أقول من أن الفقر سببه الخيانة لا الجهل . وهل يجهل أحد أوجه الضر والنفع حتى نقول إن الفقراء يُعذرون لأنهم جهلاء ؟ وهل كان جميع الأغنياء من المزوَّدين بعلم الاقتصاد وعلم تدبير المعاش ؟

مازلت أذكر ضحكة الشيخ عبد الباقي سرور ، رحمه الله ، وقد تلقينا في جريدة الأفكار سنة ١٩١٩ شكاية الصيادين من إصرار الحكومة على تضييق عيون شباك الصيد !

كنا نظن عمل الحكومة تعسفاً في تعسف ، ولم نكن ندري أن الثروة المصرية تحتاج إلى حرّاس أمناء ، ولو كانت مصادر تلك الثروة في أعماق البحيرات

واستطرد الأستاذ عبده حسن الزيات فقال : حضر أحد النواب المقربين إلى سعادة الأستاذ الجليل محمود فهمي النقراشي باشا ومعه وفد من الصيادين المطالبين بتضييق عيون الشباك ، وكان النقراشي باشا يومئذ وزير الداخلية ، فغضب وقال : « ألا يعرف حضرة النائب المحترم أن هؤلاء الصيادين يريدون أن نعينهم على قطع ما منّ الله به عليهم من مصادر الرزق ؟ إن منفعة الصياد في أن تكبر الأسماك ، ليبيع بالواحدة لا بالقُفة ، وليصبح الصيد من أنواع الفروسية ، فما موجب الجشع في تضييق عيون الشباك »

مصر أمة بحرية ، ومع ذلك لا توجد عند أهلها النزعة البحرية في الأدب والبيان ، إذا استثنينا القصائد والرسائل التي أوحتها الشواطىء منذ أعوام قلال

أفلا يكون من أسباب انعدام الأدب البحري عند أهل مصر حرمانهم من السمك الجيد في النيل والبحرين والبحيرات ؟[1]

بأي حق يجوز أن يقضي المصري سنة بدون أن يرى وفرة الأسماك في الأسواق ؟ أليس ذلك برهاناً على أننا لا نجيد الصيانة لثروتنا الأهلية ؟

كانت أسماك مصر حديث القدماء من المؤرخين فأين هي اليوم ؟

إن أبناء مصر أبادوا التماسيح من مياه النيل ، فكيف يبقون على الأسماك ؟!

بلد أحمد أمين

جاء في « المنصورة » — وهي المجلة التي تصدرها مدرسة المنصورة الثانوية — أن الأستاذ أحمد أمين منصوريُّ المنبَت ، وأقول إن الأستاذ أحمد أمين نفسه حدثني أن آباءه من المنوفية ، وإن تحلى بالتواضع فلم يدّع أنه من سنتريس

ولم يكن يهمني أن يُزَيَّف نسب أحمد أمين إلى المنوفية ، ولكن مقاله عن « غاية العالم » أقنعني بأنه موهوب ، ولا بأس بإضافته إلى المنوفية ، وإن كان في مقاله عبارات سمعت مثلها في تمهيد الدكتور إبراهيم ناجي لبحثه عن « نفسية المرأة » مع فارق بسيط : هو أن الدكتور ناجي أشار إلى المصدر الذي نقل عنه وأن الأستاذ أحمد أمين لم ير موجباً لذلك ، فدلنا من جديد على حسن هضمه لما يقرأ من آراء الباحثين ، بحيث ينسى أنه ينقل عن هذا الفكر أو ذاك

بين الرسالة والثقافة

تلطف الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنقل تحية أدباء السودان

(1) أدب البحر في نشأته الأولى يرجع إلى وصف الصيد

إلى مبارك والزيات ، وحدثنا أن الخطباء الذين أثنوا على جهوده الأدبية كانوا يقولون إنه من كتّاب « الرسالة » وأن ذلك وقع من نفسه موقع الارتياح ، فقد سره أن تكون « الرسالة » على ألسنة جميع الناس في ذلك القطر الشقيق

وأقول إن مجلة الثقافة أخلفت الظن الجميل بعض الإخلاف ، فقد كنا نرجو أن تكون أقوى من مجلة الرسالة ، وأن تفتح باباً من المنافسة تنتعش به الحياة الأدبية ، ويتسع به المجال أمام الناشئين من أبناء الجيل الجديد

والحق أن طغيان « الرسالة » على « الثقافة » يسر المتطلعين إلى تقدم العلوم والآداب والفنون ، لأنه يشهد بأن القراء في البلاد العربية قد وصلوا إلى غاية من النضج يصعب معها الأمل في إرضائهم بالجهد القليل ، و « الرسالة » تبذل جهداً لا تبذله « الثقافة » وإن استندت « الثقافة » إلى علماء من « كل صنف » كما نوه بذلك الأستاذ أحمد أمين

أنا أرجو أن تهتم « الثقافة » إهتماماً جدياً بتخيُّر موضوعاتها ، وأن تعنَى عناية خاصة بتخير الشعر الذي تنشره ؛ فقد يتوهم الناس في بعض الأقطار العربية أن الشعر في مصر لم تبق له موازين يُعرَف بها الراجح من المرجوح

والحرص على منفعة « الثقافة » هو الذي أباح أن نوجه إليها هذا النقد الرفيق ، مع الاعتراف بما تقدم من الوَقود الجزل لنار الأفكار والعقول

متى يجئ اليوم الذي نرى فيه خمسين مجلة من أمثال « الرسالة » و « الثقافة » بالخصائص التي عُرفتْ عن هاتين المجلتين ، في التسامي إلى أدب القول وإعزاز البيان ؟

الله عز شأنه هو المرجو لتحقيق هذا الأمل الجميل

أيام وأيام

وقعت غارتان على الأسكندرية في ليلة واحدة ، ومع ذلك لم يُصَب غير بضعة أشخاص ، فكيف وقعت هذه المعجزة بعد انقضاء عهد المعجزات ؟

يرجع السبب إلى أن الغارتين وقعتا في أحياء هجرها أهلوها فراراً من شراسة الخطوب ، فما أقسى الدهر الذي يحكم بأن يرى أهل الأسكندرية أن الحياة أفضل من الموت ؟

لو كان بيننا وبين الألمان حرب ، لكان من المستحيل أن يترك أهل الأسكندرية بلادهم الجميل قبل أن يجعلوه مقابر للباغين والمعتدين ، ولكن الظروف الدميمة قضت بأن يعيش الأسكندريون مجردين من السلاح ، وما أشقى من يعيش بلا سلاح في أيام لا يأتمر أهلها بغير البغى والعدوان !

هل تنتفع مصر بهذا الدرس ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

إن بلاء مصر بزعمائها سيطول ، ويطول ، ويطول ، فتى يَصِقلون ؟

يوم البعث

وأنا مع هذا لا أيأس ، ولن أيأس ، ما دام دم الفتوّة المصرية والفتوة العربية والفتوة الإسلامية ، يجري في عروق الفتيان من أهل مصر والشرق

يجب أن نفهم جيداً أن القوات الأوربية صائرة إلى الفناء ، لأنها تجاوزت حدود الله ، ولأنها تستبيح قتل الأبرياء ، ليتم لها ما تريد من إعزاز شرائع الشياطين

« ألمانيا فوق الجميع » !

ذلك مطلع النشيد الألمانى ، وهو نذيرٌ بما سيصير إليه الألمان ، فما تغطرستْ أمةٌ إلا ابتلاها الله بالذل وسلّط عليها الضعفاء .

اعتقد فراعين مصر أنهم سلالة الشمس وأبناء السماء ، فأدال الله منهم وعرّض أحفادهم وأسباطهم لعوادي الاستعمار والاحتلال .

واعتقد الرومان أنهم سادة الناس ، فأباد الله ملكهم بلا إمهال .

واعتقد العرب أن أرومتهم أشرف من جميع الأرومات ، فكتب الله عليهم التخلف ، وجعل نصر الإسلام بأيدٍ غير أيديهم لأنهم خانوا عهد زعيمهم الأكبر ، ولم يفهموا أن الإسلام دين مبادئ لا دين أجناس

فما مصير ألمانيا وهي تعتقد أنها فوق الجميع ؟

إن هذه العقيدة ستأتي على بنيان ألمانيا من الأساس ، فستؤلب عليها الشعوب ، وستخلق لها أعداء لا يعرف عددهم غير من تفرّد بالعزة والجبروت

« ألمانيا فوق الجميع » و « ألمانيا فوق الجميع » ثم « ألمانيا فوق الجميع » !

جيـــل وجيـــل

للأستاذ محمود البشبيشي

— ٢ —

[كان هذا المقال قد فقد بيننا وبين البريد فنشرنا الثالث قبله ؛ فلما وجدناه نشرناه وسننشر المقال الرابع بعده]

التأمل فن الفنون — فلسفة التأمل — هل يكون الحب رائد ضلال ؟ — صلة الروح بين سائر الأشياء — الرذائل تضعف التأمل ، والمغالاة في الفضائل تفسده — مسلك الشكوى وبكاء الآمال في أدب الشباب — غلبة الغزل في شعرهم وهل من المستطاع توازنها مع سائر الأغراض ؟ .

. . . ومن الأفكار أفكار تنفخ في الألفاظ أرواحاً ، فتخلقها آراء حية ، لا تعترف بقيود الفناء ، لأنها من جوهر الروح ، ولا يعتريها الضعف في التعبير عن وجودها ، لأن كل كلمة فيها قوة روحية ، ومن هذه الأفكار والآراء ما دار بيني وبين ولدنا الأديب « حسين » في المقال السابق ، حيث انتهينا إلى أن التأمل أساس الحياة تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ، وإن قوة الأجيال بقوة الروح والفكر فيها ، وقادنا الحديث إلى أدب الآباء وأدب الأبناء . بدأنا بشيء من الفلسفة ، وخلصنا من أوعارها وأوعائها إلى رياض الأدب ، وسنبدأ اليوم كما بدأنا ، وسننتهي كما انتهينا . . . !

— أنا معك يا بني في أن التأمل أساس الحياة ، ولا يسعني إلا أن أدعو القوم إلى سبيله الصحيح ، وأهيب بهم أن تأملوا في الحياة وأحوالها ، تبسم لكم زهورها ، وتتساقط تحت أقدامكم ثمراتها ، وتسمعوا أنشودة السعادة والنصر في بسمة الصبح وجلوة المساء ! ويحس كل فرد نعمتها فيعمل على زيادتها وتعمل هي أيضاً ، لأن الحياة كـكل شيء تعطي بمقدار ما تأخذ ! وحقيق بالعاقل أن يتأمل مشكلاتها ويقلبها على رأي يعقد عليه القلب ، ويسن عليه الأمر ، فلا يرمي إلا عن قوس عقيدة راسخة ، والرجل الصادق في تأمله من كان الإيمان أعلق بقلبه من الشك ، والطفرة آثر عنده من التردد ، والحقيقة أشهى إليه من الظواهر الكواذب ، والمغالبة في سبيل الحق آنس له من الاستكانة في أرض الجحود !

— هذا حق يا والدي ، فإن التأمل فن للفنون ، تترعرع في ظلاله كل فنون الحياة من سرور وحزن وحب وتقدير ، وهل يجيء السرور إلا بعد الشعور باللذة والنشوة التي يكتشفها الإحساس بعد قليل من التأمل في نتائج العمل الذي نشعر نحوه بالسرور ؟ وفن الحزن أيضاً . فنحن لا نشعر بالحزن والألم من شيء إلا بعد التأمل في مداه وسبر غوره وما يخلفه من أثر ، ثم ما هو أكثر من ذلك . فنحن قد نستمر في الحزن ونسايره ولو ذهب المؤثر ، لأننا نتأمل ونطيل التأمل ؛ وفن التقدير والاعتراف بالفضل ، لاشك أن التأمل أساسهما إذ كيف نحكم على شيء بالجودة إذا لم نتأمله ! وفن الحب ، وهل هناك حب لم يلهبه التأمل ؟ إن الإنسان في حبه يتأمل بكل حواسه ، بعينه وشعوره وقلبه

— قد بينت يا بني خطر التأمل ، فهل نسيت أن التأمل كأساس للحياة يتأثر بالميول والعواطف كالحب والكراهية والطمع والغيرة ، تلك العواطف العمياء الضاربة في الضلال

— ماذا أسمع ؟ كيف يكون الحب رائد ضلال ؟ كيف يكون أيها الوالد الكريم ، وهو العاطفة الروحية السماوية التي تربط الإنسان بخالقه ، والتي تولد مع الوليد فيميل إلى والده وأقاربه بطبيعة الحب الروحي فيه ، والتي نلمسها في الحيوان قوية واضحة ، وهو الذي لا يدرك ولا يفكر تفكيراً يصح أن ينطبق عليه حقيقة التفكير بكل معانيه . وكيف تكون الروح عمياء ! إننا إذا نظرنا إلى حيوانين من فصيلتين مختلفتين ، ورأينا

ولهذا المعنى وحده ستصير « ألمانيا تحت الجميع » ، وإن عشنا فسترى ، وإن عشتم فسترون ، فما أذل الأفرادَ والشعوب غيرُ الاعتصام بالسيطرة والاستعلاء

لو كان « لهتلر » مستشار أمين لدله على أن الرجولة ليست في البطش الأحمق ، وإنما الرجولة أن تحارب من تسلّح بمثل سلاحك ، أما إيذاء مدينة مجردة من السلاح ، فهـو عملٌ لا يقوم به رجل يتوهم أن أمته فوق الجميع

أما بعد ، فهذا يوم البعث ، وسأعيش بإذن الله إلى أن أرى الأنوار تنتصف من الظلمات ، « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون » ، وعند الله جزاء المخلصين الأمناء

زكي مبارك

كيف يجمع بينهما الحب ، وعرفنا أنه حب لا تعكره شهوة فهو نقي طاهر ، لأدركنا أن هناك سراً هو من عنصر الروح ، وأن هذا السر فوق النهاية ؛ لأنه استطاع أن يثير للحيوان الذي لا يدرك فلسفة يعجز عن إدراكها الإنسان . ومنطق هذه الفلسفة يقول : إن كل شيء حي تجمعه بسائر الأشياء صلة الروح الحية ... وإذا كانت هذه الروح مشتركة في الكل فقد مال الكلب مثلاً إلى القط برغم ما بينهما من عداء ، ومال الإنسان مثلاً إلى الحصان بل إلى كل حيوان يمتلكه . فهل يكون الحب هنا داعية ضلال ؟! وكيف وقد انعدمت الشهوة والتجانس منه ! فإن الكلب يشعر بأن القط ليس من عشيرته ، وكذلك الإنسان وحيوانه ... وهذا العلم والشعور من الإنسان والكلب نوع من الهداية والبصر ، وإن عاطفة الحب الروحية لتجمع بينهما ... فهل تكون مثل هذه العاطفة الفلسفية عطية الغواية ؟ أعتقد أنها لا تكون ولن تكون إلا إذا أصابتها سهام الشهوة والغرض !

— تريد يابني أن تقول إن الحب ليس دائماً سبيل الغواية .. ولكن الكثير من الناس ضلوا ووصفوا الحب بما ليس فيه ، إنهم رأوا حيرة المحب وضلاله فقالوا في معنى الحب ما قالوا ، وليتهم اقتربوا من الحقيقة فقالوا إن الحب يفسد التأمل . ويتفاوت هذا الأمر بتفاوت قوة التأمل والعقل ... ومن هنا يجيء فساد حكم العاشق في معشوقه لأن حبه أضعف تأمله ، وعاطفته سيطرت على عقله المتأمل ... والذي يجري على الحب وأثره في التأمل يجري مثله في البغض والكراهية ، لأنك حين تبغض وتكره شخصاً تتأمل أعماله وإن حسنت بعاطفة الكراهية ، فيصدر حكمك عليه غير عادل وغير سديد . والطامع كذلك يفسد التأمل ويقوده إلى التدمير ، فإنك إذا تأملت تأملاً يغلب عليه الطمع في حاجة غيرك ، دفعك هذا التأمل الطامع إلى الرغبة في حيازتها ، وجاء وراء هذه الرغبة الاعتداء ووراء الاعتداء المهلكات والمخوفات ... وهكذا ...

— هذا جميل يا والدي ، ولكني أميل إلى تركيز نظريتي في التأمل وفلسفته وكنت بسطتها في العام الماضي في جريدة « المقطم الغراء » فأقول إن جميع الرذائل كالبغض والغيرة والطمع وغيرها تفسد التأمل فتفسد الحياة تبعاً لذلك ... كما أني أرى أن بعض الفضائل قد تفسده وذلك إذا تغالينا فيها ...

إن التأمل لو قل أفاد ، ولو كثر كشف عن خفايا ، ولو طال علمنا معنى الحياة ، وحقيق بالتأمل كي يصل إلى المرتبة السامية أن يجاهد نفسه ، ويغالب طبعه ، وألا يكون في أعماله أثر للحيلة ، ولا عمد إلى الخدعة ، وأن ينفذ الوسع في إدراك أسرار مُشتَبِه الأمور ، ويداور ويصاول حتى يستشفها ويُجلّي عنها ، وأن يكون في طريقة سلوكه في الحياة الرجل الذي يحاول معرفة نفسه ، وإصلاح مَقابحه ، والرجل الصادق المتأمل كما أراه هو الذي يزن الأمور بميزان التجارب والعبر ! ... ولصدق القياس في التجربة موضع وله مقدار ، فمتى جازها أحدٌ وقصّر عنهما قبح منه الفاضل ، ونقص التقصير ... والسبيل إلى هذه المرتبة وعر المسالك شائك الجوانب ولكن من يكتف الأمور بالحجة كتفاً لا تؤوده تبعات ولا ترهبه مخبآت الحوادث .

— هذا جميل حقاً يا بني وأجمل منه أن يصدر من شاب مثلك ؛ وإذا تضافر الطبع النابض بالحيوية ، والبيئة الملهمة ، والشعور المرهف الذي يعرف كيف يألم وكيف يفرح ، ويدرك مداخل وموالج الأمور كما يعرف مخارجها ، لم يعد عجيباً أن يجمع شاعر من الشباب أو ناثر بين عاطفة الشباب وحكمة الشيوخ ، بين ثورة الوجدان ورزانة العقل ، بين المحافظة والتجديد ، ... ولكني أنتهز هذه الفرصة فآخذ عليك وعلى سائر الشعراء من الشباب سلوكهم أحياناً مسلك الشكوى وبكاء الآمال ... فأوصيك أن تبتسم أنت وإخوانك الشعراء للحياة ؛ فقد يكون الشاعر باسماً ومتفائلاً أجدى منه على الحياة الإنسانية عابساً متشائماً ، وشعر التفاؤل في اعتقادي هو البناء ، وما أحوج الحياة اليوم إلى من يشيد بمحاسنها ، ويخفف من ويلاتها ، ويقيم من بنائها ، ... فكل شعركم إما غزل وإما شكوى ... فأين شعر القوة ؟ أين شعر التحفز والطموح ؟

— تأخذ علينا غلبة شعر الحب وفي هذا كثير من القسوة . فكما أن عبير الزهرة بضعة منها ، وشعاع الشمس صورة لحرارتها وصفتها المنيرة ، وتراب الأرض دليل على أصل من فيها ، يكون شعر الحب والجمال صورة لنفس الشباب وأماني الشباب وأحلام الشباب ! وكيف لا تفيض نفسي بما يضطرب فيها ولا سبيل لكتمانه ؛ وإن الشباب هو حلم الحياة ، فحرام أن تمر به من غير أن نفسره شعراً حياً بالحب والجمال ...

لا تلم الشباب ، ولم إذن الشيوخ الذين يتغنون بشعر الحب

فليس من الغريب أن يتغنى الشباب به ، وقد يكون من العجب – وإن كنت لا أميل إلى هذا الرأى ولكن الجدل يدفعنى إليه – تغانى بعض الشيوخ من أكابر الأدباء فى معانى الحب والجمال . . . ولقد قرأت نفثات الرافعى فى فلسفة الحب والجمال ، وقرأت للزيات السحر الرائع فى الجمال ، ولمحت قلب الدكتور المبارك يتدفق فى كتاباته ... وترنمت بأغاريد أبى شادى ... وكيف أقرأ وأحس وأدرك وأترنم بكل هذا ... ثم أقتل الأنشودة الحلوة فى مهد قلبى ، وأقنع بصداها يدوى فى جوانبى فتظل الأحاسيس ساكنة كالتى ... إن هذا الظلم ما فوقه ظلم ... !

وتأخذ علينا شكوى الزمان والتبرم ... ولم لا نشكو ونتبرم وقد رأينا بعض الآباء الأفاضل يجعل للأدب أرستقراطية كان منها عقوق للشباب وجحود وإنكار لفضل النابهين وتحطيم لآمال الناشئين، وإن كنت لا أعترف بالبقاء لمن يصيبه فى المخوفات بهر، ويدركه عند الملمات عى ! ! وما كان البقاء الحق إلا للثبت الذى صهرته التجاريب الذى لا يأخذ منه الهم ، ولا تغلب عليه الصعاب ، فلا يهاب أهاويل أهل الزمان فيرتبك ويظن أن الأرض قد ضربت عليه بالأسداد ، فيضرب فى طيخة عمياء. ومهما يكن من أمر تلك الصعاب التى تعترض الشباب ، فإنى أعتقد أنها لا تصد غير الهيابة النكس ! ! فليس منا من يتحامى المغالبة والمصاولة ، وحقيق بكل من تتألق بين ألغاف نفسه أقباس الحيوية والنبوغ أن يوطن النفس على المكاره حتى يحتل مكانه فى بُهرة الحلقة الأدبية ... ولا يشتم أحد من هذا الكلام حقداً أو تحاملاً على الأكابر والأفاضل من كتاب العروبة ، فما جس فى خاطرى ذلك ... وكيف وأنا أغلف القلب بأزاهير المحبة والتوقير والإجلال لأستاذى الكبيرين الزيات والدكتور مبارك ، فقد أسعدتنى الأيام بلحظات كالحلم الجميل جمعتنى بهما نشقت فيها عبقة السحر من أطايبهما ! ...

وكنت أول من رثى للشاعر الفيلسوف الزهاوى فى مجلة « الرابطة العربية » للأستاذ أمين السعيد . أما إعجابى بالأستاذ العقاد ، فقد بلغ به الحد أن جعلنى أقرأ كتابه « ابن الرومى » فى جلسة واحدة ...

تلك كلمة كان لا بد منها لأدفع عن نفسي عوامل الحقد ، ولأقترب من الحقيقة الخالصة ...

أما تعبيرنا عن آلامنا بالشعر ، فأسمى مراتب التعبير ما صهرها الألم ، وإننى لا أهدم الإنسانية عندما أشرح الأسباب التى تبعث الألم وأحللها ، بل إننى بذلك أضع للناس صوراً يتعظون بها ، والعظة سبيل من سبل البناء ، وهل ألام إذا قلت :

وما قيمة الدنيا وحظك عاثر   وعيشك خداع به فتن تغرى !
وما قيمة الدنيا وثغرك ملجم   وفكرك محدود يعذب فى الأسر

وما هى إلا حقيقة الحياة وأسرارها المستغلقة . وهل عاش الفكر الحر غير معذب بالقيود والأوضاع ... ؟ وهل ألام إذا روع القلب بمخبآت الدهر وهلكات البين الأبدى فأقول :

أعيادها ولت فهل لك عيد !   هيهات أن يهتز منك جديد !
أنا ذلك الهيمان ضلله الهوى   وتلقفته من التعاسة بيدُ !
لا النور يسعدنى بنثر ضيائه   فى معبد الذكرى ولا التغريد !
تترصد الأقدار همسة خافق !   ويصدنى عن معبدى تشريد

وهل تستطيع أن تأمر نفساً بحبس ألم لا سبيل للخلاص منه ثم تستبعد منها أن تقول :

كبرت بسمتى وأضحكنى الدهر (م) وطاف الغــرام يسأل عنى
رغم ما فى الفؤاد من ألم الداء (م) وزهر الغـــرام يذبل منى
أذن العمر بالسرور وبالفن (م) وأقصى عوامل اليأس عنى !

واستمع إلى الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى وانظر كيف قدم زهر العمر للآلام قربانا ... ولو صدق ظنى فى هذا الشاعر الحى فسيكون له فى رياض الخلود مستقر ومقام وإن قنع اليوم بالوقوف على الشاطئ يترنم لنفسه ويرقب الخضم الثائر المضطرب بالنيات الصوادق والظواهر الكواذب ... قال :

وقلت : الآن استجلى الشباب الذاهب الآنا
ويطوينى فتون العمر والأنس الذى كانا !!
وأبقى بعض أيامى وأطويهن نشوانا
فقد قدمت زهر العمر للآلام قربانا !!

يا بنى إن للشباب الحق فى التعبير عن عواطفه ، ولكن من الخير أن تغلب عليه صفة التفاؤل وأن يبسم للحياة فتبسم له . وهل يكون صدى الأغنية الجميلة غير أغنية جميلة ؟

وأخيراً أنصح للشباب ألا يقنع باللمحات ، بل يكون رائده الفكر العميق والخيال الدقيق ، وأن ينزه نفسه عن المواطن الرذلة وأن يحدد رغباته ؛ فخير الرغبات ما وافقت الوضع ولم تجاوز

في غزوة حنين

بين السياسة الرشيدة والتمعق في الدين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

قد يكون من المعلوم عند الناس أن التمعق في الدين ليس من الدين في شيء ، وإن كنا في زمن قد انقلبت فيه أوضاع الدين ، وصار التمعق في الدين هو المثل الأعلى في التدين ، وأصبح المتمعقون في الدين قدوة الناس ، منهم تلتمس البركات ، وتقام لهم بعد مماتهم القباب والمزارات

ولكن هناك أمراً طريفاً في باب التمعق في الدين يجهله كثير من الناس ، وقد أردت أن ألفت النظر إليه في مجلة الرسالة الغراء ، فيكون للناس فيه عظة تنفعهم في دينهم ودنياهم ، ويعرفوا أن الدين ليس أذكاراً تتلى ، وأوراداً تكرر كل يوم وليلة ، وقواعد ينظر إلى ألفاظها وحروفها ، ولا ينظر إلى الغاية المقصودة منها ، ولا يلتفت إلى وجه الحكمة فيها ، ليراعى فيها حال الزمان والمكان ، وتؤخذ بشيء من التساهل إذا كان من اللائق أخذها به ، وعدم التقيد بأحكامها وقيودها ، وفي هذا تظهر حاجة المتدين إلى أن يكون عنده شيء من حسن السياسة ، وإلى أن يكون من المرونة بحيث لا يقف جامداً أمام الألفاظ والنصوص ، ولا يؤثرها على الظروف الطارئة ، والأحوال العارضة ، وذلك مالا يمكن اجتماعه مع التمعق في الدين ، والجمود على ما فيه من قواعد وقيود

وكيف لا يكون طريفاً كل الطرافة أن ينكر بعض المتمعقين في الدين على من أرسله الله به ، فيؤدى به هذا التمعق إلى أن يرى نفسه أرسخ منه ديناً ، وأكثر منه رعاية له ، ووقوفاً عند حده وامتثالاً لما جاء به من الأوامر والنواهي ، ولا يحمله على هذا إلا أنه حفظ قاعدة من قواعد الدين ، فأخذها قاعدة مطردة لا تشذ ، ولا يصح أن يؤخذ فيها وقتاً ما بشيء من التسمح ، ولا يمكن أن تتأثر بشيء مما تقتضيه الظروف والأحوال

وقد كانت تلك الحادثة الطريفة في غزوة حنين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليها من مكة بعد فتحها ، ومعه الجيش الذي فتح مكة من الأنصار وغيرهم ، وكذلك أهل مكة الذين لم يمض إلا قليل على إسلامهم ، وكان بينهم نفر بقوا على الشرك ، وخرجوا إلى القتال طمعاً في الغنيمة والمال ، وآخرون أسلموا ولم تخلص قلوبهم من أثر الحنين إلى وثنيتهم ؛ حتى إن المسلمين لما انهزموا في حنين أول الأمر فرح كثير من أهل مكة بهزيمتهم ، وقال بعضهم : ألا قد بطل السحر اليوم . وقال قائل منهم : الآن ترجع العرب إلى دين آبائها . وقال أبو سفيان ابن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر . وكان قد أسلم إلا أن إسلامه كان مدخولاً ، وكانت الأزلام في كنانته

ثم انتصر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من ثبت معه من المسلمين الأولين ، وأصابوا في تلك الغزوة كثيراً من الغنائم ، وكان لقسمة الغنائم قواعد مقررة في الدين ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ في هذه الغزوة أن يتقيد بها ، ورأى أن يبسط يده بالعطاء لأهل مكة تأليفاً لهم ، وكان من بسط يده لتأليفه على ثلاثة أصناف : صنف تألفه ليسلم كصفوان بن أمية ، وصنف تألفه ليثبت إسلامه كأبي سفيان بن حرب ، وصنف تألفه دفعاً لشره كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس . فأعطى صفوان ابن أمية شعباً مملوءاً نعماً وشاء ، وكان قد رآه يرمقه ، فقال له : هل يعجبك هذا ؟ قال : نعم ، قال : هو لك ، فقال صفوان : ما طابت بمثل هذا نفس أحد . وكان ذلك سبب إسلامه . وأعطى أبا سفيان أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وقال ابني يزيد : فأعطاه كذلك ، وقال ابني معاوية : فأعطاه كذلك ، فأخذ ثلثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي

المقدار ، وأن يعلم أن الجدود قرينات القرن المتقاعد

وما أحوجنا إلى نوع من الكتاب والشعراء يعكفون على القديم ليعرفوا فتنته وجزالته ، فإذا اكتسبوا صناعة لغوية وتم لهم الذوق الأدبي ، طبعوا على غراره ما أرادوا من طريف الفكر ، وبديع الخيال مما تطالعهم به الحياة الجديدة

يا بني ما لك ولشكوى الزمان ، دع قافلة آمالك سائرة ولا تحسب الدهر حلواً كله ...

يا بني كم أحب أن يكون شعرك باسماً كأفكارك في الوضوح ؛ حينئذ أبتسم كما تبتسم ، ويضحكني الدهر كما أضحكك .

محمود البشبيشي

حاشية : كل ما جاء على لسان ولدنا الأديب « حسين محمود البشبيشي » فهو له .

يا رسول الله : لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ! وقد سالمتك فنعم المسالم أنت ! هذا غاية الكرم جزاك الله خيراً . وأعطى العباس بن مرداس دون عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، فسخط ما أعطاه دونهما ، وقال فى ذلك يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم :

وكانت نهاباً تلافيتها · بكرى على المهر فى الأجرع
فأصبح نهبى ونهب العُبيـ · ـد بين عُيينةَ والأقرع
وما كان حصن ولا حابس · يفوقان مرداس فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما · ومن تضع اليوم لا يُرفع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إذهبوا فاقطعوا عنى لسانه . فأعطوه حتى رضى

فلما رأى كل هذا ذو الخويصرة التميمى ، وكان امرأ متعمقاً فى دينه ، جاء فوقف على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، دعنى أقتل هذا المنافق . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى . دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمية يُنظر فى النصل فلا يوجد شىء ، ثم فى القدح فلا يوجد شىء ، ثم فى الفوق فلا يوجد شىء ، سبق الفرث والدم

فهذا التعمق فى الدين قد أدى بذى الخويصرة إلى هذا الجهل الفاضح ، وأوقعه فى ذلك الجمود القبيح ، وجعله ينسى مقام النبوة فيتعالى عليها ، ويظن أنه أرسخ فى الدين منها ، وينكر على النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذ فى قسمة غنائم حنين بشىء من حسن السياسة ، ويتسمح فيما وضع فى قسمة الغنائم بعض التسمح ، ولا يعرف أن حسن السياسة من الدين ، وأن الإسلام ليس بشىء من ذلك التزمت الذى يضيق بالتسمح ، ويأبى الأخذ بشىء من التساهل . وما أكثر الآن أولئك المتزمتين بيننا وما أحوجهم إلى الانعاظ بما أوقع فيه التزمت ذا الخويصرة ، فلا تضيق نفوسهم بما تدعو إليه الضرورة من بعض الخروج على المألوف ، ولا يقفون جامدين أمام الألفاظ والحروف ، لأن منطق الألفاظ لا يقوى على منطق الحوادث ، فيجب إخضاعها لها ، ولا يصح أن تقف حجر عثرة فى سبيلها

وقد يظن بعض الناس أن ذا الخويصرة كان من أولئك المنافقين الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام ، ويرى أن الذى أوقعه فى الإنكار على النبى صلى الله عليه وسلم نفاقه لا تعمقه فى الدين ، ويأخذ فى هذا بظاهر قول عمر رضى الله عنه : دعنى أقتل هذا المنافق . ولكن الحقيقة أن ذا الخويصرة لم يكن من أولئك المنافقين ، وإنما كان طليعة لصنف آخر يخلص فى دينه عن جهل ، ويأخذ الدين على أنه قواعد ورسوم ، فيبالغ فى الجمود عليها ، ويقف عند ألفاظها وحروفها . وذلك الصنف من الناس هو الذى سمى فيما بعد باسم الخوارج . وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم أهم كفار ؟ فقال : من الكفر فرّوا . فقيل : أمنافقون ؟ فقال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً . فقيل : ما هم ؟ فقال : أصابتهم فتنة فعَمُوا وصَمُّوا

وتلك الفتنة التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم هى فتنة الغرور بالتشدد فى الدين ، والوقوف عند حدود القواعد والرسوم ، وكل شىء جاوز حده انقلب إلى ضده ، والإسلام وسط بين التساهل والتشدد ، ولهذا جاء ديناً عاماً لكل البشر ، وكانت أحكامه صالحة لكل زمان ومكان .

عبد المتعال الصعيدى

ألقاب الشرف والتعظيم
عند العرب

للأب أنستاس ماري الكرملي

[تتمة]

١٦ – البارون

هذا الحرف لم يكن معروفاً عند الأعاجم قبل الإسلام، بل بعده. وعرِّب بلفظه لقرب صيغته من صيغ الحروف العربية، كفاروق. وهاضوم. وكابوس. وقالوا فيه أيضاً: باروني. وجمعوها على بارونة وبارونية. قال في الفتح القدسي: « وأحضرت (الإفرنج) الاسبتارية والداوية والبارونة ». وقال ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٥٨٢: « ثم إن هذه الملكة هويت رجلاً من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه (كي) فتزوجته، ونقلت الملك إليه وجعلت التاج على رأسه؛ وأحضرت البطرك، والقسوس، والرهبان، والاسبتارية، والداوية، والبارونية » اهـ. ونحن لا نطيل الاستشهاد بكلام المؤرخين، إذ لا نرى فيه عظيم جدوى، ويغني هذا القل عن الجل

١٧ – الفارس

تنظر إليه الفرنسية chevalier والإنكليزية knight واللاتينية eques, itis واليونانية hippeus. وكل هذه الألفاظ مشتقة من الفرس الدابة المشهورة، كاشتقاق الفارس العربية من اللفظة المذكورة، إلا الإنكليزية، فإنها مشتقة من كلة تعني الخادم، ولا جرم أن الأصل في المعنى: « خادم (خيل) الملك » ثم ارتقى في منصبه مكافأة لخدماته، كما وقع لمن تسمى بأمير الإصطبل، أو أمير الآخور، أو كند اصطبل

على أن لبني مضر لفظة مشتقة من اللاتينية (أقوس equus) بمعنى الفرس، وهي (القاوس) ومعناها عند السلف: « الذي يرسل الخيل للسباق jockey ». ولا جرم أن الأشراف الفرسان كانوا يفعلون ذلك لما كانوا في خدمة الملك. فالعربية إذن لاتينية الأصل. لا سيما أن ليس في أصول اللفظة العربية ما يشير إلى معنى الخيل سوى (المِقوس)، وهو حبل تصفُّ عليه الخيل عند السباق؛ لكن (القوس) نفسه مأخوذ من الرومية المذكورة، وكذلك القول في (الكوسى) بمعنى الفرس القصير الدوارج؛ وبالفرنسية poney وبالإنكليزية pony

١٨ – اللوكات

هذه الكلمة من الألفاظ الخاصة بأرباب المناصب الدينية النصرانية، وهو سفير الحبر الأعظم أي البابا. وقد جاءت في كتاب الروضتين المطبوع في باريس، في ص ١٨٣ وهو لأبي شامة. والكلمة منقولة عن légat الفرنسية وهذه عن اللاتينية legatus

١٩ – الدكّار

هو الذي يسميه نصارى اليوم (القاصد)، وقد وردت اللفظة في مختصر الدول لابن العبري، في ص ٤٠٣ من طبعة بيروت. قال: « وقرر الصلح عاماً مع الدكار، نائب البابا، وملك عكاء، وملوك فرنجة، ومقدمي الدواية والاسبتارية »، وهي من اللاتينية delegatus وبالفرنسية délégué

٢٠ – كرِدنال وكردِنال وكرِدِنال

وردت كَرْدِنال بالدال المنقوطة المفتوحة في معجم بطرس القلي المؤلف في غرناطة سنة ٩١١ للهجرة (١٥٠٥ للميلاد) والمطبوع في غرناطة نفسها في تلك السنة نفسها، وجاءت كذلك في الخزانة العربية الصقلية لأماري المطبوعة في ليبسيك سنة ١٨٥٧، ص ٣٤١ س ٦؛ فكان يجب أن تكون بالدال المهملة المكسورة لكن لم ترد إلا بالمنقوطة المفتوحة، وقد ذكر كل ذلك دوزي في معجمه، وأما المعاصرون فإنهم يذكرونها هكذا (كردنال) بالدال المهملة المكسورة، لأن اللفظة من أصل لاتيني، لا من نجار يوناني. فلو كان يونانياً لقيل بالدال المعجمة، وأما قول بعضهم (كردينال) بياء بعد الدال المهملة، (وكارْدينال) وهذه أقبح، ويجمعونها على (كرادلة) فخطأ في خطأ. والصواب كرْدنال بفتح الدال والجمع كرادِنة ليحمل على وزن عربي أي على وزن قهرمان وصولجان ودِيدبان وطيلسان التي يقال في جمعها: قهارمة، وصوالجة، ودياذبة، وطيالسة. فافهم ذلك ولا تجرِ وراء القرّار الذي يستجهل القُرارا. زد على ذلك أن فَيْعَلات، بضم العين وفتحها كثير الأمثلة، بخلاف كسره فإنه نادر

طائفة من ألفاظ المناصب النصرانية

نحن لا نريد أن نمعن فى ذكر جميع الألفاظ النصرانية ؛ فهذا يدعونا إلى وضع كتاب قائم برأسه ، لكثرة ما هناك من المصطلحات ، إلا أننا نذكر بعضاً منها من باب الذكرى والإجمال لا غير . من ذلك : الجاثليق ، والكتاغيكوس ، والبَرِيم ، والمفريان ، والمطران ، والمرطبليط (أى المطروبوليط) ، والملفان ، والخور أسقفس ، والخورى ، والقسّ ، والكاهن ، والشماس ، والإكليريس ، والواهف ، والساعور ؛ إلى غيرها ، وهى لا تكاد تحصى لكثرتها . فهذه خمس عشرة لفظة دخيلة ، فإذا أضفناها إلى العشرين المتقدم بسطها ، كان لنا خمس وثلاثون لفظة من دينية ودنيوية لم يترجمها العرب إلى لغتهم ، بل أبقوها على حالها بتغيير طفيف ، لتحمل على الأوزان العربية لا غير

ولننتقل الآن إلى ألفاظ الآداب والمجاملة والمعاشرة . من ذلك

٣٦ — السنور

السنور : الحر ، والسيد ... والسنانير : رؤساء كل قبيلة . (ملخص عن التاج) . قلنا : والسنور بمعنى السيد من الإسبانية senor وهى باللاتينية senior وبالفرنسية seigneur

٣٧ — الضونة

الضَوْنَة ، بهاء : الصبية الصغيرة (اللغويون) وهى فى الإسبانية dona بمعنى السيدة غير المتزوجة ، أى المادموازيل mademoiselle ، كما يقول اليوم بعض المتفرنجين ، أو الآنسة كما يقول بعض الراغبين فى تصحيح الكلام الأعجمى

٣٨ — الضامة

قال فى التاج فى مادة (ض ى م) : « ومما يستدرك عليه : الضامة ، مخففة . الحاجة ، زنة ومعنى . ومنه المثل : « تأتى بك الضامة عِرِّيس الأسد » فسروها بالحاجة وبالمرأة . وقالوا : هى من الضيم ، كما فى أمثال الميدانى . نقله شيخنا » انتهى كلام التاج . وبالفرنسية dame أو madame

٣٩ — الخاتون

قال المجد : « الخاتون للمرأة الشريفة ، كلمة أعجمية » وزاد الشارح : « استعملها الفرس والترك ، والجمع الخواتين » اهـ .

قلنا : والخاتون كلمة شرف تقال للمتزوجة وللصبية والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا فى العراق كله ، يقول أهله : أمينة خاتون وبهية خاتون ، والأولى للمتزوجة والثانية لغير المتزوجة ، وكانت اللفظة مستعملة فى جميع البلاد العربية اللسان فى العصر العباسى ، ومنها الخاتونية لمحلة كانت فى بغداد . قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٥١ هـ : « وفى هذه السنة احترق درب فراشا والظفرية والخاتونية ... »

وذكر ابن بطوطة فى رحلته (فى ١ : ٢١٢ من طبعة الإفرنج) الخانقاه الخاتونية فى دمشق . وذكر هذين العَلَمَيْن فى بلدين عربيين ، بهذين الاسمين دليل على أن الخاتون ، كانت شائعة عندهم شيوعها اليوم فى العراق

٤٠ — الخواجه

هذه لفظة فارسية ومعناها رب البيت ورئيسه ، والرجل الشهير ، والشيخ الجليل ، والسيد المعظم ، والمقدم بين الناس ، والغنى والعامل ، والحاكم والوزير ، وهو من ألقاب التعظيم أيضاً وقد لقب به منذ القدم محمد بن محمد بن الحسين الطوسى فعرف بالخواجه نصير الدين الطوسى . وكان مولده سنة ٥٩٧ ووفاته سنة ٦٧٢ للهجرة (١٢٠٣ — ١٢٧٤ م) . ثم أطلق على كل من امتاز بصفة من الصفات التى ذكرناها فى معنى اللفظة . فكانت شائعة كل الشيوع بين الكتاب ، وأرباب اليراع ، قبل نحو مائة سنة ، أو أكثر ، والآن لا يكاد يسمع بها إلا قليلاً ، ولا يكتب بها إلا أقل . فكان لها وقت ثم مضى

هذا وقد ذكرنا لك من ألقاب الملوك والأمراء ، نحواً من ٣٨ ، نقلاً عن أبى الريحان . و ٤٠ جمعناها لك من ألقاب الرجال والنساء ، من دنيوية ودينية ، ولو أردنا ، لضاعفناها لك ثلاث مرات ، أو أربعاً ، أفما يكفى لك هذا العدد وحده ، ليقنعك بأن الألقاب تعد كالأعلام ، وتروى كما هى ولا تترجم ، ولا تنقل بمعانيها . إذن يقال : دكتور ، وأستاذ ، وماجستير ، ولا يقال : عليم ، وعالم ، ومعلم ، ونحوها . ولا تغتر بمن يتعصب لقومه كذباً ، وهو يطعنه بشر الأسلحة وأشدها فعلاً فيه !

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

تاريخ وأدب

مدن الحضارات
في القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغني حسن

- ٢ -

الحق أن المسجد الأموي بدمشق هو ذخر المسلمين بعد الكعبة المكرمة؛ وقد قال فيه الرحالة المقدسي: «والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم، ولا يعلم لهم مال مجتمع أكثر منه، ومن أعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة إلى أختها؛ ولو أن رجلاً من أهل الحكمة اختلف إليه سنة لأفاد كل يوم صنعة»

ولقد زار دمشق كثير من الرحالين المسلمين ووصفوا آثارها في آثارهم، وأخذوا بروعة الجامع الأموي وكمال صنعه. ومنهم ابن بطوطة الذي قال فيه: «وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً، وأتقنها صناعة، وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً، ولا يعلم له نظير، ولا يوجد له شبيه»

وكانت قصور الأمراء على الجملة في دمشق الأموية تمثل الحضارة العربية أجل تمثيل؛ لأنها قصور دولة قامت على أكتاف العرب، واستقامت على كواهلهم. إلا أن هذه القصور كانت تجمع بين البساطة العربية والفخامة الرومانية. وحماد الراوية وصف لدار الخليفة هشام بن عبد الملك يقول فيه: «إنها دار قوراء مفروشة بالرخام؛ وهو - يعني الخليفة - في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب، وحيطانه كذلك»

ووصف يزيد بن المهلب دار ولى عهد سليمان بن عبد الملك بدمشق فقال (دخلتها فإذا هي دار مجصصة حيطانها وسقوفها. ثم أدخلت داراً أخرى فإذا حيطانها وسقوفها خضر، وإذا وصفاؤها ووصيفاتها عليهم ثياب خضر وحلى الزمرد

على أنه يلوح لنا أن هذا الوصف فيه كثير من الخيال الشائق والمبالغة اللذيذة. وأن هذه الرواية تمتعت بشيء من الإغراق في الوصف لتتم محاسن الموصوف ... ألا أنه من المحقق أن هذه العاصمة الإسلامية الكبرى ازدحمت بالقصور الشاهقة في جوف المدينة أو على نجوة منها

... ثم يدور كوكب النحس - كعادته - على دمشق ... فتسقط الخلافة الأموية ويشرد أبناء الخلفاء؛ ويتحسسهم العباسيون في كل مكان؛ ويُغرى الشعراء الخليفة العباسي بقتالهم وإبادتهم حتى لا يحسوا منهم من أحد أو يسمعوا لهم ركزاً. ويقول في ذلك شاعر أبياتاً مشهورة منها هذا البيت:

جرد السيف وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا

وكان ذلك في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة. فتنتقل الخلافة إلى بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر الملك وحاضرة الخلافة.

و (بغداد) قديمة في التاريخ. وترجع إلى ألفي سنة قبل الميلاد في عهد البابليين، وقد ورد ذكرها في حَجَر Michaux، الذي وجد لُقًى على ضفاف نهر دجلة وعليه تاريخ يرجع إلى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد. ومما يدل على قدم بغداد رصيف نهري اكتشفت بقاياه وأحجاره على نهر دجلة بوساطة العلامة الإنجليزي السير هنري رالنسون، وعليه لوحة تحمل اسم أحد ملوك بابل القدماء.

وفي عهد الإسلام كانت (بغداد) في الشرق، وقرطبة في الغرب تتقاسمان سيادة العالم في التجارة والثراء والثقافة والحضارة. ولقد أوحت ليالي بغداد وقصورها وجسورها ومالها وغاداتها وغلمانها وجواريها وشعراؤها ومغنوها إلى مؤلف (قصص ألف ليلة وليلة) خيالاً واسعاً كل السعة، مبدعاً كل الإبداع. تلك القصص الشائقة الجليلة التي ترجمت أول ما ترجمت الى الفرنسية سنة ١٧٠٤ بوساطة الكاتب الفرنسي (جالاند)

وتفيض كتب التاريخ والأسفار والأدب في وصف بغداد، وتطيل في ذلك الكلام إطالة لا يدخلها ملل، وخاصة في عصور المنصور مؤسسها والرشيد وولده المأمون. وهم الخلفاء الثلاثة البارزون في العصر العباسي

وكانت بيوت بغداد وقصورها تبنى من الطوب والقرميد، لا من الحجر - كما كان الشأن في دمشق - لأنها في منطقة غير صخرية. وكانت هذه البيوت تشرف على العبرين من نهر دجلة، وتتعالى في أجواز السماء إلى علو شاهق، وتحيط بها البساتين الناضرة، وتجرى في وسطها الجداول المنسابة

تحت أفياء أشجارها، وغرد أطيارها، وتتلألأ في وسطها الغدر الصافية والبرك الصقيلة

والبحتري الشاعر الرقيق يصف لنا بركة المتوكل في شعر تصويري جميل، ويصور انعكاس النجوم عليها ليلاً فتبدو كأنها سماء أرضية! ويصف انسياب وفود الماء فيها معجلة كأنها الخيل وهي تخرج من حبال مجريها، ويقول في ذلك:

تنصب فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجريها

ويقول في المعنى الأول ولعله أول مخترع له:

إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

والقصيدة مشهورة معروفة في كتب الأدب فلا معنى لكتابتها هنا

والأبيات التالية تصور لنا أصدق تصوير ارتفاع القصر المعروف بالكامل في بغداد، وتصف لنا في بيان عذب شرفاته المطلة على حبك السماء ورياضه المتعطرة بأرج الأزهار وهي:

لما كملت روية وعزيمة ... أعملت رأيك في ابتناء (الكامل)

وغدوت من بين الملوك موفقاً ... منه لأيمن حلة ومنازل

ذعر الحمام وقد ترنم فوقه ... من منظر خطر المزلة هائل

أغنته دجلة إذ تلاحق فيضها ... عن صوب منسكب السحاب الهاطل

رفعت لمخترق السحاب سموكه ... وزهت عجائب حسنه المتخايل

وتنفست فيه الصبا فتعطرت ... أشجاره من حول وحوامل

وكان نهر دجلة في ذلك الحين يكاد يغص بالحرامات الكثيرة، والزوارق الجميلة تتهادى فوق مياهه المتكسرة، وكلنا يذكر أبيات أبي نواس في وصف حراقة الأمين

اشتهرت تلك العاصمة الإسلامية العظيمة فيما اشتهرت بنوع من الحرير المعروف بحرير (العتّابية) نسبة إلى العتّابي (بتشديد التاء) الصحابي الجليل. وأخذت هذه الكلمة إلى اللغات الأوربية باسم تابي Tabby دلالة على الحرير الغني بالألوان المائية الكثيرة الزاهية

ومن المؤلم في تاريخ بغداد أن تلك القصور العظيمة قد دكت من القواعد، وأن تلك الرياض الناضرة قد صوحت، وأن تلك البرك الصقيلة قد جف ماؤها وانعدم السكون إليها، وأن هذه الأنسجة الجميلة والثياب الحريرية لم يبق لها أثر، وأن الكتب التي كانت في دور العلم والحكمة فيها قد ضاعت وغرقت وأحرقت فيما اختلف على بغداد من حوادث وفتن جسام، وخاصة في غارة التتار عليها سنة ٦٥٦ هـ والله يذل من يشاء

ولقد قلت أهمية بغداد نوعاً ما حينما نقلت العاصمة إلى «سر من رأى» على يد المعتصم. ألا أنها عادت إلى بعض ما سلف من جاهها في عهد المستعين بالله حينما عاد إليها هارباً من الأتراك واستبدادهم. ولكنها لم تستطع أن تسترد مكانتها القديمة وحضارتها العظيمة، وإن كانت بقيت بعد ذلك حاضرة للاسلام مدة من الزمان

ومن عجب أنها احتفظت بعد سقوطها باسم عظيم ولقب كريم فكانت تسمى في الوثائق التركية الرسمية باسم (المدينة الفائقة)

ويدور الزمان على بغداد كما دار على بابل وروما وأثينا وبيزنطة ودمشق فتزول عنها صفة العاصمة، وتزول عنها الخلافة؛ ويجيء الخليفة هنا إلى مصر فلا يبقى له غير اسم الخلافة حتى تنتقل من مصر إلى القسطنطينية في زمن السلطان سليم العثماني في الربع الأول من القرن العاشر الهجري

ويظهر في الشرق تيمورلنك المغولي المسلم، والفاتح العظيم، والقاسي في ساح الحروب، والعفو الرحيم في ميدان السلم، فيحكم بغداد ويخضعها لسلطانه حوالي سنة ١٤٠٠ ميلادية

ثم تنتقل بها عجلة الأقدار إلى يد أخرى أجنبية غير عربية، هي يد الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الأسرة الصفوية ببلاد الفرس، وتصبح بعد ذلك محلاً للنزاع بين الترك والفرس، وتدار على أيد فارسية حيناً، وتركية حيناً آخر: فيأخذها سليمان الأول التركي، ثم يأخذها الشاه عباس العظيم سنة ١٦٢٠ ويستردها السلطان مراد التركي سنة ١٦٣٨ م بعد مذبحة عظيمة عند التسليم

واسم بغداد مدينة السلام، أو دار السلام. وكلا الاسمين صحيح. وقد اعترض على أديب بغدادي في مجلة الثقافة الغراء منكراً الاسم الثاني، وهو اعتراض لا محل له، فقد استعمل هذا الاسم أكثر من مؤرخ ممن يوثق بهم، كابن بطوطة، وجميل نخلة المدور العراقي، وصاحب كتاب (حضارة الإسلام في دار السلام) وجورجي زيدان، والعلامة محمد كرد علي عالم الشام ومؤرخها وصاحب خططها.

(الحديث موصول)

محمد عبد الغني حسن

في علم النفس القضائي

القاضي الجنـــائي

في مدى العوامل غير الشعورية

للأستاذ حسين الطريفي

كان ينظر في القاضي إلى عقليته القانونية وإلى جانب خاص من خلقه الفردي مما يترك وراءه أثراً ظاهراً في فصل الدعاوى بالشكل الذي تنتهي فيه . وقد نص فقهاء الإسلام على جملة صفات خلقية أوجبوا توفرها فيمن يلي القضاء ويحكم بين الناس . غير أن هذه النظرة الخاصة إلى مزايا القاضي القانونية والخلقية وتحديدها في الإطار المعين الذي وضعت فيه ، مما يدعو إلى كثير من التأمل ، ذلك لأنها لا تكاد تتعدى الشكل الظاهر لولاة القضاء دون النفوذ إلى ما وراء هذا الظاهر ، حيث تقوم هناك البواعث التي قد تقيد القضاء بماهية الاتجاه وبنوع الحركة وبمدى الزمن الذي يجب أن يصل القضاء فيه إلى مرماه المعين . فإن توفر العقلية القانونية فيمن يلي القضاء وافتراض توفر عدة مزايا خلقية معينة لا يكفي وحده لصيانة القضاء من التردي في مهاوي الميل مع الهوى وكفالة الضمانة القانونية لصاحب الحق على من يتولى القضاء .

إن المعنى المستنتج مما كان قد نص عليه فقهاء القانون في موضوع كفاية القاضي من الناحيتين المادية والخلقية قد يكفي لتأمين العدالة في مجال القضاء الحقوقي بالنظر إلى طبيعة هذا القضاء وكونها منصبة في نطاق محدود فرضت شكله وموضوعه قوانين الدولة . غير أن الوضع ينقلب إلى شكل وموضوع آخرين في حدود الدائرة الجنائية ، وتتبدل الغاية والطريقة وما وراءهما من بواعث ينطوي عليها معنى الحق العام في كل جريمة

إن تأدية المهمة الملقاة على عاتق القاضي الجنائي تتطلب كفاية أوسع مدى من تلك التي يجب توفرها فيمن يحكم بين الناس في المنازعات الحقوقية ؛ ذلك لأن المبدأ الجنائي العام منطو على أن الأدلة في الأصل إقناعية . وهذه القناعة قد تكون مجرد معنى تمتلئ به نفس القاضي دون أن يجد اللفظ المفصح عنه . لأنه ليس إلا شعوراً قائماً وراء حدود اللفظ

وفي انطلاق هذا الأفق في الدائرة الجنائية أصبح قاضي الدعوة رهين بواعث خفية في عقله الباطن وهي تعبر عن ذاتيتها في أعماله القانونية ، وقد تتحكم في عقليته القانونية فيأتي بأحكام منشؤها مجرد البواعث النفسية ، وقد يصدر عن مثل هذه الأحكام وهو غير شاعر بالبواعث

إن هذا الانقلاب الذي حدث في تفهم وتطبيق موضوعات الدائرة الجنائية والذي عرفته وأخذت به دول الحضارة قد جاء عقب الفتح الذي قام به العالم النفسي المنقطع النظير – فرويد – فقد غزا العقل وتمثله ثم نشر كل مطوي فيه ونفذ إلى الصميم من معاقل النفس فعلل وفسر كل ظاهرة وكل اختلاجة . ثم تبعه علماء النفس الآخرون ففصلوا ما أجمله فرويد أو عقبوا عليه ، وظهر من وراء كل هذه البحوث أن هناك تيارات خفية في نفس الإنسان أو في عقله الباطن ، هي ولية الشأن فيه ، وهو وديعة الأيام في ذمتها . وجاء بدورهم فقهاء القانون فأيقنوا أن وراء العقلية القانونية ، حياة نفسية مقنعة يجب على القضاء أن يقف على ما هي فيه وما هي عليه إذا أراد أن يمتلك عواطفه في رؤية الدعاوى ويسمو عن العدل في الأحكام

إن العوامل غير الشعورية إنما تقوم بدورها وهي من وراء قناع تختفي فيه عن الأبصار فتوقع أثرها الخاص من دون أن يشعر بها صاحبها في جليل أو قليل ؛ غير أن هذه البواعث وإن كانت تظهر برداء مستعار فإنه يمكن إخراجها إلى المشاهدة بتطبيق حقائق علم النفس الحديث ، وهذا ما أوجب على القاضي الجنائي أن يكون عالماً نفسياً فوق تفقهه في القانون ، ليكون في أحكامه بمنجاة من غوائل مجرى شعوره النفسي فيقيم من نفسه على نفسه رقيباً فيه ضمان العدالة

إن هناك آفات تصيب العدالة من جرائر القضاة ، وأخطر هذه الآفات تلك التي يقوم بها القاضي من غير شعور أو إرادة وهو يستلهم الطريقة والاتجاه مما وراء عقله الظاهر من عقل باطن

ومنطقة غير شعورية . فمن القضاة من تنطوي نفسه على نزعة الاندماج في الجاني أو من كان مجنياً عليه ، وهو إذا تمثل نفسه فيمن قارف الجريمة ، ورأى فيه رجلاً غير معصوم وأنه مثله لولا اختلاف الظروف ، فقد جنح إلى البراءة ووقف من شهود الإثبات في موقف الارتياب ، وقد يؤثر فيهم موقفه هـذا بحكم مركزه الممتاز ، فيضيع على الحق العام كثيراً من الحقائق الجرمية ؛ وهو إذا ذهب إلى الإدانة ، فإنه ينزل بالعقوبة إلى أدنى حد مستطاع . أما إذا تقمص شخصية المجني عليه ، فقد انقلبت آية الموضوع وأصبح شديد الصرامة على الجاني في حكم الإدانة وفي تقدير العقوبة .

إن القاضي المحدود بعقليته القانونية كالرجل العادي يميل بهواه إلى جانب من الدعوى منذ البداية ، ومن هذا الموطن تبدأ خطورة الضلالة في إصدار أحكام البراءة والتجريم ؛ ذلك لأن القاضي الجنائي متى تكونت عنده فكرة الحكم قبل أن يحيره دوره ويستكمل كافة أدوار التحقيق والمحاكمة ، فقـد جنح بإجراءاته كلها إلى ما يدعم ويحقق تلك الفكرة ، ورأى في كل دليل يعرض عليه الجانب الذي يؤيد فكرته التي كونها منذ البدء عن الدعوى

وهناك مظاهر أخرى يتلبس بها القضاة فتلتبس عليهم مواضع الرشد والهدى في تحقيق العدالة ، وكلها تنطوي تحت مفهوم « الرغبات الخفية » تلك التي تنبعث إلى العقل الظاهر مما وراءه من مناطق باطنة وغير شعورية ، تكتنز في تضاعيفها ثمرات أجيال طويلة . فإذا كان القاضي الجنائي لا يمتلك شيئاً غير عقليته القانونية ، ولا يعوّل في إصدار الأحكام إلا على هذه البيئة العلمية المحدودة وما له من خواص خلقية يعرفها في نفسه ؛ فقد أضاع ما يجب أن تكون له في الدعاوى من شخصية مستقلة هو فيها كمن يلحظ المحيط وهو على الساحل . وكان جزءاً من كل دعوى تطرح أمامه ؛ فلا ينظر فيها إلا بعين عاطفته المصطبغة بلون الظاهرة البارزة في وقائع الدعوى ، فيفقد استقلال فكره وحياد نفسه من دون وعي منه ، ويأتي بأحكام مبعثها الهوى وهو غير شاعر بما هو فيه

(بغداد) حسين الظريفي
المحامي

قالتْ لنا « الْفَراشَة » ! !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَرّتْ عَلَيْكِ «فَرَاشَةٌ» كَهَوَايَ بَاكِيَةُ الْجَنَاحْ
عَذْرَاء عَاطِرَةُ الرَّفِيـــفِ كَأَنَّهَا حُلْمُ الصَّبَاحْ
وَكَأَنَّهَا سِرُّ الزُّهُو رِ سَحَرْتِ هَيْبَتَهُ فَلَاحْ
وَكَأَنَّهَا فِي الرَّوْضِ أُغْــنِيَةٌ مُوَلَّهَةُ الصُّدَاحْ
حَيْرَى تَمِيلُ مِنَ الْأَثِيــرِ إِلَى الْغَدِيرِ إِلَى الْأَقَاحْ
بِخَوَاطِرِي هَتَفَتْ فَكُنْــتِ بِهَا الْأَمَانِيَ وَالْجِرَاحْ
لِمَ لَمْ أَطِرْ نَغَماً عَلَيْهَا ، أَوْ صَدًى
أَفْنَى وَيَبْقَى فِي الْفَضَاءِ مُخَــلَّدَا ؟
أَنَّى مَشَيْتِ أَتَاكِ فِي الْــأَنْسَامِ يَخْفِقُ وَالرِّيَاحْ
يُلْقِي إِلَيْكِ عِبَادَتِي وَحْيًا لِغَيْرِكِ مَا يُتَاحْ !

* * *

مَرّتْ عَلَيْكِ وَكُنْتُ بَيْــنَ يَدَيْكِ مَسْحُورَ الْجَنَانْ
وَقَفَتْ بِنَا الدُّنْيَا وَمَا تَ بِأَيْكِنَا خَطْوُ الزَّمَانْ
فَكَأَنَّنَا فِي وَاحَةِ الْــغَيْبِ الْمُحَجَّبِ طَائِرَانْ
أَرْخَى عَلَيْنَا اللهُ أَسْــتَارَ السَّعَادَةِ وَالْأَمَانْ !
مَرّتْ بِنَا ... وَكَأَنَّنَا مِمَّا نُكَابِدُ آهَتَانْ
الْحُبُّ ذَوَّبَنَا بِكَأْ سِ فَيْضُ خَمْرَتِهَا حَنَانْ
قَالَتْ : عَذَابُ الرُّوحِ طَالَ بِهِ الْمَدَى
وَأَخَافُ يَخْطِفُهَا مِنَ الْأَمَلِ الرَّدَي
قُومَا وَرَائِيَ نَرْتَوِي مِنْ كُلِّ خَمْرٍ فِي الْجِنَانْ
مِنْ قَبْلِمَا يَأْتِي الْخَرِ يفُ فَلَا رَحِيقَ وَلَا دِنَانْ

محمود حسن اسماعيل

التسعيرة الجبرية

من حضارة الاسلام
فى الأندلس
للأستاذ محمود الشرقاوى

من هذه النظم الجديدة المحدثة فى مصر ، والتى جاءت بها هذه الحرب القائمة فكانت من النظم التى تريح الناس وتسهل عليهم قضاء حوائجهم الماشية : نظام البطاقات والتسعيرة الجبرية

« والتسعيرة الجبرية » كما حددها الأمر العسكرى الذى صدر فى السنة الماضية بتطبيقها فى معاملات البيع والشراء ، وكما فهمها الناس ورأوها بعد ذلك فى معاملاتهم تلك ، هى أن يجعل الحاكم « الحكومة » سعراً خاصاً لكل سلعة ولكل مبيع يعرف مقداره بوزنه أو بقياسه أو بعدده أو بما يمكن أن ينضبط به

وقد وجدت هذا النظام بنفسه مما كان يجرى به أمر الحاكم فى بلاد الأندلس على حكم المسلمين لها . فهو ليس من بدع هذه الحضارة الجديدة ولا من فنون أوربا ، فقد سبقتها به الحضارة الإسلامية منذ دهر طويل . وهذه الفقرة التى أنقلها عن كتاب « نفح الطيب »[1] فيها تفصيل ذلك :

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة فى أهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض ؛ والعادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق وأعوانه معه وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان : للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن ، وفى ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيان به من السوق مع الحاذق فى معرفة الأوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب فى الورقة ، ولا تكاد تخفى خيانته ، فإن المحتسب يدس عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب ؛ فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقى

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى ص ١٠٢ جزء ٢ من طبعة الحلبي وشركاه بمصر

وإن كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس[1] فى الأسواق نفى من البلد

ولهم فى أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لأنها عندهم تدخل فى جميع المبتاعات وتتفرع إلى ما يطول ذكره »

فهذه الفقرة التى كتبها المقرى عن نظام الاحتساب فى الأندلس تدلنا على أن المسلمين فيما كان من نظم حضارتهم هذا الذى اصطلحنا على تسميته « التسعيرة الجبرية » وأنهم كانوا يعاقبون من يطفف الناس أو يزيد عليهم سعر ما يبتاعون . وكان من عقوباتهم فى ذلك التجريس ؛ وهو عقوبة مؤذية ضارة يفقد بها التاجر شرطه الأول للنجاح والربح وهو طيب السمعة . وأنهم وصلوا فى أعقاب المطففين والطامعين إلى عقوبة النفى

وكان صاحب الاحتساب — كما رأينا — يمشى بنفسه راكباً على الأسواق وأعوانه معه وميزانه

أما أن هذا النظام كان العمل به مقصوراً على الخبز واللحم كما يفهم من نفح الطيب فذلك أن الخبز واللحم كانا لذلك العهد قوام الحياة العامة ومطالب الضرورة الماشية للناس يشترك فيها الفقير والموسر . ولم تكن ضرورات الحياة ومطالب العيش بمثل ما نعرف فى حضاراتنا الراهنة من السعة والكثرة ...

أو أن المقرى ذكر الخبز واللحم مثالاً لما كان يقوم عليه نظام الاحتساب فى الأندلس فهو يريد بذكرها التمثيل ولا يريد الحصر والتقصى .

محمود الشرقاوى

(١) الاسم الجرسة أى الفضيحة والتشهير والتسميع

رأى الفلك فى مستقبل الحرب

أدلى إلينا الأستاذ يوسف عفيفى العالم الفلكى المشهور بنتيجة دراساته الفلكية عن نهاية الحرب القائمة فقال :

سيظهر بعد أربعة أشهر نجم ذو لون أحمر يرى على الأفق الشرقى فى جميع أنحاء العالم وسيكون حجم ذلك النجم كبيراً ونوره واضحا شديد الاحمرار وسيظهر ليلا بعد الغروب وعند انتقال الشمس إلى برج العقرب وسيرى ذلك النجم فى آخر برج الحمل ، ويدل ظهوره فى ذلك الوقت على أن رجلا خطراً على العالم ومجازفا جريئا فى إراقة الدماء سينتهى أمره — وإنى كعالم فلكى أقول صراحة أن ما يدل عليه ذلك النجم هو : أن إمبراطوراً لم يتوج سيموت مقتولا ولعل القراء قد فهموا من هذه العبارة أن الذى يعنيه الأستاذ الفلكى هو « هتلر » .

غـــارة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

جَلاَّك أم يغشاك ليل مقمرُ   بدر وتُطفأُ فى الديار الأنوُرُ
وتُمَدُّ أذرعةُ الشعاع طويلةً   ويصيح من فرق الوقاية منذر
النورأصبح بعض أسلحة العدى   ولديهمو لا فى الظلام المنكر
وتقاصت كِسَفُ الظلام وكُشِّفت
للنـــاظرين مدينة لا تســـتر
جرَّ المُدافع والمغيرُ كلاها   فَلَقَ الصباح كأنما هو مسفر
لولا المنون ولن يُحب لقاؤه   لسبا العيونَ من الطوائر منظر
هبطت ثريَّات مضاعفة السنا   وكأنها فى بُطنْهـــا تتبختر
أعراس جِنٍّ أتقنت حفلاتها   والإنس فيها كالذبائح تنحر
وانقضَّ من وسط البروق صواعق
وعلا من الأرض الغبار الأكدر
كالعهن منفوشاً تطير منازل   والله من كيد الأعادى أكبر
وتوالت الضربات لامِنْ حاسب   يُحصى ولا المحصى لها يتذكر
وتجاوبت بالنار ألسنة الردى   يا سمعُ كم أسد بجوفك يزأر
رأسى كسندان القيون وناظرى   تحت المطارق جفنه والمحجر
وبخاطرى من لا تفارق خاطرى   أن تسلمى تحلو الحياة وتُشكر
الله أكبر ليس ييأس مؤمن   والصبر سلوان وحظ أوفر
ذهبَ المغيرُ بقضه وقضيضه   وانجاب من لج المصائب عِثْيَرُ
وأتى صباحٌ ليس أمثلَ من دجًى :
دورٌ محطمـــة وحيٌّ مقفرُ
وغدٌ نؤمله ونرجو خـــيره   (والله يرزق من يشاء ويقدر)
يا رب لا تمنح عدوك رحمة   أيريد بالدنيا الخراب وينصر
يا خالق الدنيا وحامى مجدها   أتكون معبوداً ويعبد (هِتلَر)

عبد اللطيف النشار

الفقـــراء

[ملخصة]
LES PAUVRES GENS
لفكتور هوجو

للأديب حسين محمود البشبيشى

[إلى أستاذى العظيم « مترجم الفقراء » أهدى وحى ترجمته أقباساً من أنوارها ، وعبيراً من عبقة سحرها]

وفى ظلام الدجى ، والليل منسدلٌ
والكوخ يغرق فى الإملاق والظُّلَمِ !
على وسادٍ كعشّ الروح قد رقدوا   والأم جاثية ، تهتزّ فى ألمِ !
كانت تصلّى وفى أفكارها صورٌ   من عنصر النار ، لم تهدأ ولم تنم
باتت تصلى بظلّ الكوخ مُرعَشة
فى ظلمة الفكر بل فى ظلمة السَّقَمِ
ترنو إلى الزاخر العجاج خاشعة   والموج عن شوقها الجبار فى صَمَمِ !
مثل الأفاعى صوب الشط ساعية   أمواجه الرُّعن ، يا للظالم القَلِمِ[1]
باتت تنادى «أسير الموج[2]» صارخة
والموج يُرْعشها فى كل مصطدم
فإن تفرق فى الآفاق شملُهما   فقد تجمع شملُ الفكرِ والألمِ !
هى القلوب مهاد الحب تسكنها   مع الفراق ، طيور الحب والرحم
ما باله لم يعد ، والليل منتصف   والهول محتدم ، والصفو لم يدم
فى كل ثائرةٍ فى الموج مقبرة   بل كل خافقة أسرار مُنْبَهِم !

يا ويل زوجته ، يا هول وحدتها !
قد هاجها عاصفٌ من هولِ أشجانِ
قامت إلى الزاخر العجاج ضارعةً   ترجو من الموج ردّ الراحل الوانى
مصباحها خافق والسيل يمطرها   والشوق فى جَنْبها ألوان نيرانِ !
وفى طريق البِــلى مرّت بجارتها
ماذا رأت ؟ يا تُرى غير البِلَى الفانى !

---

(١) القلم : المائج
(٢) أسير الموج : زوجها البحار



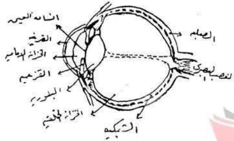
العيون التى صرعت العاشقين

للأستاذ أحمد على الشحات

سحر العيون — تركيبها — قصر النظر وعلاقته بالمدنية — طول النظر ووراثته من الأجداد — الاستجماتزم — بياض العيون وعلاقته بالأمراض — عينك تخدعك أحياناً

يا قارئى ! هل سُددت إليك يوماً سهام من عينين نجلاوين شع منهما السحر فسرت فى أوصالك الرجفة وألقتك صريع الهوى ؟ إن كان ذلك فدعنى أخفف عنك هذا الوقع وأرشدك إلى مصدر هذا السحر ومن أى جزء شع لعلك إن عرفت مصدره فى العين استطعت يوماً أن تغالبه فتغلبه

يا قارئى ! إن قلت يوماً لقد كانتا عينين زرقاوين أو سوداوين أو عسليتين حسبما كان لونهما فاعلم — حفظك الله من فتنتهما — أن هذا اللون صادر من جزء فى العين نسميه علمياً القزحية، وهو قرص مستدير ، ولون هذا القرص هو الذى يميز ألوان العيون وفى وسطه فتحة مستديرة تسمى إنسان العين ؛ ويتسع هذا الإنسان ويضيق وفقاً لشدة الضوء ؛ فى الضوء القوى يضيق حتى لا تدخل العين إلا كمية قليلة من الأشعة ؛ أما فى الضوء الخافت فيتسع حتى يسمح لأكثر ما يمكن من الأشعة بالدخول . وهذا الضيق والاتساع تنظمه القزحية، وهو عمل غير إرادى ، أى أن المرء لا يستطيع أن يتحكم فى ضيق أو اتساع هذا الإنسان . والشاهد أن القط يستطيع الرؤية فى الظلام ؛ ذلك لأن إنسان العين فيه كبير جداً ، وبذا يسمح لدخول أشعة كثيرة لا يسمح بها إنسان عين الآدمى



(شكل ١)

وخلف إنسان العين نجد عدسة العين وتسمى البلورية، وهى محدبة الوجهين إلا أن وجهها الخلفى أكثر انحناء من الأمامى، والفراغ الذى أمام البلورية يملأه سائل شفاف يسمى السائل المائى، والجزء الذى يحويه يسمى الخزانة الأمامية ؛ وأما ما خلف البلورية فيملأه سائل هلامى، والتجويف الذى يحويه يسمى الخزانة الخلفية

ماتت ومن حولها طفلان ضمهما
فى شقوة العمر هول العاصف الجانى !

يُساقط السيل دمعاً فوق وجنتها ... ويعزف الموجُ لحنَ الذابلِ العانى

هيا ارقصوا وافرحوا يا قوم وابتسموا
إن الحياة سبيل العالم الثانى !

وفى حنانٍ وخوفٍ عاصفٍ حملتْ ... أبناء جارتها فى نبلِ روحانى !

قد هاج خاطرَها الإملاقُ فاضطربت
وثار فى جانبيها روحُ تحنان

أترهبُ الزوج ؟ والإملاق يعركها !
أم ترقب الله فى خيرٍ وإحسانِ !

وفى سكون من الأحـــلام سابحة
غابت عن الكون فى صمت وأشجان

غابت عن الكون لم تسمع لهامسةٍ ... من النسيم ولم تحفل بطوفان !

وبينما هى فى أعماق حيرتها ... إذعاد «بحارها» فى روح جذلان

قصّتْ عليه حديث الليل ساردة ... عن موت جارتها ألوان أحزانِ !

فاهتز هزة من قد مسّه ألم
وقال : هيا إلى الطفلين يا (جانى)

إن الذى قدّر الأرزاق يرزقنا ... لا أرهب الدهر والرحمن يرعانى!

وهاجه أنهـــا لم تمض مسرعة
وقال : ويحك ! قالت : هاهما ذان !

(المنصورة) — حسين محمود البشبيشي

والبلورية يحوطها عند طرفيها عضلات ؛ وبتأثير شد هذه العضلات أو ارتخائها يتكيف شكل البلورية ؛ فإذا نظرت العين إلى شيء بعيد تفلطحت البلورة، وإذا نظرت إلى شيء قريب انتفخت. والتغير في شكل البلورية مستمر ما دامت العين تنظر إلى الأشياء حتى أثناء قراءتك في السطر الواحد يحدث تغير مستمر ولو أنه طفيف ؛ وتستطيع أن تحس هذا التغير إن قربت المجلة إلى عينيك فتشعر كأن هناك ضغطاً في العين ، وبعد أن تمر الأشعة بالبلورية والسائل الهلامي تنعكس صورة المرئي على جزء حساس في قاع العين يسمى بالشبكية ، وهي تقابل الزجاجة الحساسة أو الفلم في جهاز التصوير الفوتغرافي ، وتقع عليها صورة المرئي معكوسة. والشبكية عبارة عن مجموعة من الألياف العصبية الدقيقة؛ ويتصل بالشبكية العصب البصري الذي ينقل الصورة إلى المخ وبذا تتم رؤية الشيء

والعين في محجرها يحوطها كساء معتم يسمى الصلبة ، وفي الجزء الأمامي كساء شفاف يسمي القرنية ، وهو على هيئة زجاجة ساعة كبيرة التحدب

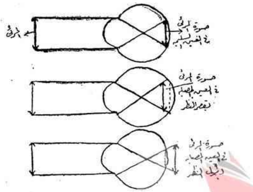
وجميع المناطق التي يمر بها الضوء في العين شفافة ، فيبدأ بالقرنية ، ثم بالخزانة الأمامية، فإنسان العين، فالبلورية ، فالخزانة الخلفية ، إلى أن يصل إلى الشبكة ، والنقطة التي يلتقي فيها العصب البصري . بالشبكية غير حساسة ، وإذا وقعت صورة المرئي عليها فإنه لا يرى . ويمكن الاستدلال على وجود هذه النقطة إن أنت نظرت إلى النجمة والهلال (شكل ٢) . اقفل الآن عينك اليمنى وصوب اليسرى نحو النجمة ، ثم قرّب المجلة إليك شيئاً فشيئاً تصل إلى وضع لا ترى فيه الهلال ؛ ذلك لأن صورة الهلال في هذا الوضع قد وقعت على النقطة العمياء . على أنه بجوار تلك النقطة توجد أخرى صفراء إذا وقعت صورة المرئي عليها كانت أوضح ما يمكن واسمها النقطة الصفراء



(شكل ٢)

وكلما تقدم العمر بالإنسان تصلبت البلورية وعضلاتها نوعاً ما حتى لا تستطيع أن تتكيف حسب أبعاد الأشياء، ولذا يجد المتقدم في العمر نفسه في حاجة إلى منظار يسد به هذا النقص

على أنه قد يكون هناك نقص طبيعي في بعض العيون فمنها مالا ترى الأشياء إلا على بعد أقل مما تراه فيه العين الطبيعية السليمة ويعبر عن هذا النقص بقصر النظر ؛ ومنها ما لا ترى إلا على بعد أبعد مما ترى فيه العين السليمة ويسمى بطول النظر . والتعليل العلمي لذلك تفسره الرسوم التي في شكل (٣) فالرسم الأعلى يمثل العين السليمة وأن صورة المرئي تقع على الشبكية تماماً فيرى الشيء بوضوح



(شكل ٣)

أما الرسم الأوسط فيمثل العين المصابة بقصر النظر ويلاحظ فيها أن العين مصابة بطول من الخلف للأمام ، ونتيجته أن تقع صورة المرئي أمام الشبكية ؛ ولذا لا يرى الشيء بوضوح ويتعين على الناظر أن يقرب من المرئي

والرسم الأخير يمثل العين المصابة بطول النظر ، ويلاحظ أن العين مصابة بقصر في طولها من الخلف للأمام، ونتيجته أن تقع صورة المرئي خلف الشبكية وعلى الناظر أن يقف على بعد أطول مما يقف عليه ذو النظر السليم

ولقد شاع قصر النظر حين تمدين العالم وازدحمت المدن بالناس وبالمنشئات من عمارات ومصانع وغيرها، وأصبحت العين تقع على أشياء كثيرة قريبة في محيط ضيق . ويصاب الإنسان به عادة بين سن العاشرة والسادسة عشرة ، وهو غالباً ما يكون سن التحصيل في الدرس، ولذا يصاب به المتعلمون أكثر من الأميين؛ ونتيجة لذلك تصاب به المدن المتحضرة أكثر من تلك التي لم ينتشر العلم فيها ، ويعالج قصر النظر باستعمال عدسة مقعرة

وأما طول النظر فكثيراً ما يكون عند الأطفال ثم يتلاشى تدريجياً كلما كبر الطفل

وأغلب الظن أن هذا النقص قد ورثه الناس عن الأجداد

الأقدمين الذين كانت يشتهم وظروف العيش آنئذ تحتم عليهم أن يقتاتوا مما يصطادونه عن بعد ، وكانت الفلاة واسعة أمامهم ويعالج هذا النقص باستعمال عدسة محدبة

على أن هناك نقصاً آخر فى العين يعبر عنه بالاستجماتزم ، وهو ناتج عن عدم الانتظام فى انحناء القرنية ، ونتيجة لهذا النقص يحدث للمصاب به حين يرى الوقت فى ساعته مثلاً ، ألا يرى أحياناً أحد عقربى الساعة ، ويخيل إليه أنه غير موجود ؛ وذلك حين يتعامد العقربان (مثلاً حين تكون الساعة الثالثة تماماً) كذلك لا يستطيع هذا المريض إن رسمت له مجموعتين إحداهما من الخطوط الأفقية والأخرى من الخطوط الرأسية ، أن يميز إلا واحدة منهما فقط

وللأمراض التى تنتاب الإنسان تأثير فى لون بياض العين ، فإن اختلط بزرقة دل على اضطراب فى الجهاز الدورى أو أمراض قلبية أو أنيميا . وإن مال إلى الصفرة دل على مرض فى الكبد . وإن شابه اخضرار كانت الأمعاء متعبة . وإن تسكر بلون أحمر كان نتيجة احتقان أو انفعالات عصبية فى الوجه ، أو ألم فى العين ذاتها

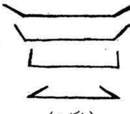
والآن هل لك يا سيدى أن أطلب إليك ألا تصدق كل ما تراه عيناك ؟ قد يبدو هـذا عجيباً ، ولـكن عذرى أن أعطيك الدليل الملموس

فى الشكل (٤) أيهما أطول ؟ المستقيم : أ ب ، أم جـ د ؟



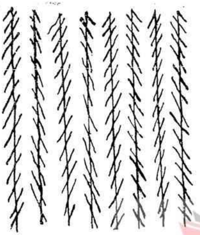
(شكل ٤)

وفى الشكل (٥) أى المستقيمات الأفقية أطول ؟



(شكل ٥)

وفى الشكل (٦) هل المستقيمات الرأسية متوازية أم غير متوازية ؟ أغلب الظن أن النظر سيخدعك ، وسيحكم بأنه فى الشكل (٤) المستقيم (ا ب) أطول من الآخر ، مع أنهما فى حقيقة الأمر متساويان . وفى الشكل (٥) سيخيل إلينا أن المستقيم الأعلى هو الأطول مع أن الأربعة جميعها متساوية فى الطول . وفى الشكل (٦) سنقول إن المستقيمات الرأسية غير متوازية ، مع أنها جميعاً متوازية



(شكل ٦)

ولـكنه خداع النظر الذى هيأ لنا ذلك وعليك بالقياس

والسراب يا سيدى : السراب الذى تؤكد لك العين أن هناك مجرى ماء ، وقد تكون فى بيداء قاحلة فتجرى إليه لتروى ظمأك ، وتظل تجرى وتجرى ، ولو شئت لجريت إلى ما شاء الله ولـكن لن تصل إليه مع أن العين أكدت لك أنه قريب هناك .

إذن ! حذار يا سيدى فالعيون خادعة أحمد على الشحات



عبد القادر حمزة و « المقالة الافتتاحية »(١)

على غير تعارف بيني وبين الأستاذ الجليل عبد القادر باشا حمزة — رحمه الله — كنت أكن له في نفسي من الإجلال والإكبار ما نما وترعرع على الزمن : لكريم سجاياه ، وكمال رجولته ، ولما كان يحمل من قلم بارع ، ولما اختطه لنفسه من أسلوب شائق في الكتابة السياسية

ولقد كنت أحس من أسلوبه هذا أنه كان يرمى إلى إحياء عهد (المؤيد) و (الجريدة) في إعلاء شأن (المقالة الافتتاحية) ورفع مستواها

فقد كان (المؤيد) يمتاز من بين صحف ذلك الزمن بمقالاته الممتعة التي كان يطلع بها على الناس صاحبه القدير ، والتي كان لها من الشأن في مصر والشرق ما لا يمكن أن يصفه إلا من حضر ذلك العهد وشاهد عظمة (المؤيد) وقوة سلطانه

ولقد كنا معشر الشباب إذ ذاك نرقب (المؤيد) عصر كل يوم – ولا سيما في الأزمات والأحداث الجسام – فنتخاطفه فيما بيننا . فلا والله ما كانت تمنينا حوادثه ولا أخباره ولا برقياته فهذه كانت قدراً مشاعاً بين الجرائد جميعاً ؛ وإنما كان همنا المقال الافتتاحي : في شائق أسلوبه ، وبارع نقاشه ، ولاذع سُخره ؛ وفيما كان يعالج من مشكلة اليوم أو مشكلاته ، وفيما كان يتناوله أحياناً من أدب أو اجتماع أو نقد أو وصف ، أو مُقارعة قِرْن أو مناهضة نِد

فلا غرو أن كان (المؤيد) في الحقبة الطويلة التي عاشها أثر لا ينكر في نهضة الكتابة المرسلة ، وترقية الفنّ الجدليّ ؛ فقد كان الشيخ علي يوسف مجادلاً من الطبقة الأولى ؛ ولا غرو أيضاً أن أحل الشيخ مؤرخو الأدب بالمكانة اللائقة به بين كبار المترسلين في عصره ، وهو عصر لم يكن قد خلص خلوصاً تاماً من رِبقة السجع وغثاثة الأساليب الكتابية في مصر والشرق العربي

ومقالات الأستاذ الحكيم أحمد لطفي السيد باشا في (الجريدة) أشهر من أن تعرف ، فقد عنى بها النقاد ، وأطراها المتأدبون ، وتحدثوا عن عمقها ، وبُعد غوْرها ، ونصاعة أسلوبها ؛ غير أنه لم يتح لي أن أطلع إلا على قليل منها

ومنذ قريب رأيت للأستاذ الدكتور زكي مبارك نقداً في (الرسالة) لمجموعة منها ، انتخبها الأستاذ إسماعيل مظهر من أعداد (الجريدة) ، وطبعها وقدم لها . وإني لعلى أمل أن أدرس هذه المجموعة وأعلق عليها في (الرسالة) استكمالاً لهذا البحث

* * *

ودارت الأيام بعد (الجريدة) ، ومرت السنون ، وكنت في غضونها أتفقد الصحافة السياسية ، في مختلف نزعاتها وأهوائها لعلي أظفر بذلك الضرب من المقالة الافتتاحية ، تلك المقالة التي تشف عن علم وإحاطة ، وتكشف عن الحقيقة فيما يُعالجَ من أمر وتشعرك بالثقة بأنك إنما تقرأ جداً لا لغو فيه ولا عبث — كل أولئك في سلامة تعبير ولطف تأت وبعد عن التعقيد والحشو — حتى جاء عبد القادر حمزة على ظمأ ، فحقق الرجاء

* * *

أدركت (الأهالي) أول ما صدرت بالأسكندرية ، ولم أكن قد قرأت بعد شيئاً لعبد القادر حمزة ، ولم يكن الرجل حينئذ نابهاً بين الكتاب ، ولكن لسرْعان ما التفتت إليه الأنظار وتحدث عنه الناس ؛ إذ لحوا في (الأهالي) صفات غير التي يعهدون في الصحف ، ورأوا فيها طرافة ، ورأوا فيها خروجاً على المألوف المملول

وهنا بدأ عبد القادر ينشئ مقالاته على طريقته الفذة ، وهنا أيضاً بدأ القراء يتذوقون فناً جميلاً من التعبير ، ولوناً شهياً من ألوان التحرير

ولم تُعمَّر (الأهالي) ؛ بل احتُضِرت وشيكا ، وجاء (البلاغ) ، فوصل فيه عبد القادر ما انقطع ؛ وطفق يعمل غير وان ولا فاتر . ونضجت (المقالة) على مر الأيام ، وصقلتها المرانة وعادت تحمل طابعَ كاتبها ، وتمتاز بصفات لها وحدها

وإذا كان الناس قد شغفوا بمقالات عبد القادر ، فإنما ذلك لإجازتها وسلاستها واستيعابها وبعدها عن الإسفاف والتهاتر ؛ حتى لقد كان في مصارعة الخصم ، ومنازلة المنافس ، لا يحمل غير المنطق سلاحاً للصيال . والمنطق – كما قد تعلم – من خصائص أسلوب عبد القادر المتغلغلة في صميمه

(١) The leading article وبعضهم يسميها المقال الرئيسي

كان على يوسف يدعو لرأى سياسى ؛ وكذلك كان عبد القادر حمزة ، فعمدا كلاهما إلى أن يصلا إلى قلوب الجماهير فى يُسْر لا تكلف فيه ، فتوخيا سهولة العبارة ، وجانبا النابى من الألفاظ ، والمستصعبَ من التراكيب ، كما جانبا الزخرف والتعمل والتفصح ، فجاء الأسلوبان من السهل الممتنع حقاً .

على أن الرجلين نبتا فى عصرين مختلفين كل الاختلاف : فلم تكن الكتابة — كما أشرنا آنفاً — قد نهضت بعد فى عصر على يوسف ، بل كانت تحبو إلى النهوض . فليس غريباً إذاً ألا تخلو مقالاته — على ما فيها من حياة وقوة — من زلاّت لغوية وتركيبية ، وأن يتداخلها أحياناً شىء من ضعف التأليف ، نلحظه دائماً فى كتابات ذلك العصر .

ولا كذلك عبد القادر حمزة : فقد نشأ فى بيئة غير تلك ، وعصر نُبِّهت فيه العربية ، ونضجت الأقلام ، حتى إنْ مصر لتُباهى فيه بكتاب هم بلا شك من مفاخر العربية .

هذه إلمامة عامة مجملة . وتفصيلها يقتضى بحثاً طويلاً ، ودراسة مسهبة لهؤلاء الرجال وأزمانهم وثقافتهم ، ثم كتاباتهم ، وكيف كانت أولاً ، وكيف تطورت ، وعوامل كل أولئك ونتائجه . ولا شك أن تاريخ الأدب الحديث سيقول فى ذلك كله قوله الفصل .

(ا . ع)

إلى الأستاذ محمود شلتوت

ورد فى مقالكم القيم (الإسلام والعلاقات الدولية) العدد ٤١٥ من الرسالة الغراء عن أسرى الحرب فى الإسلام ما يلى : وخير الإمام بين إطلاقهم من غير مقابل وفدائهم على حسب ما يرى من المصلحة . وقد مَنَّ صلى الله عليه وسلم وفادى بالمال وبتعليم الأسارى أبناء المسلمين الكتابة . أما استرقاقه صلى الله عليه وسلم أو إباحته للاسترقاق فقد كان مجاراة لحالة اجتماعية سائدة فى الأمم إذ ذاك ولم يكن على وجه التشريع العام ، وإنما التشريع العام فى ذلك قوله تعالى : « فإما مَنّاً بعد وإما فداء » .

فهل لنا يا سيدى الأستاذ أن نفهم من ذلك أن الرق فى الإسلام من قبيل الأحكام التى تزول بزوال أسبابها ومقتضياتها كتركه صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بالناس معللاً هذا الترك بقوله : إنى خشيت أن تفرض عليكم . حتى إذا ما كملت الشريعة وفصلت الأحكام وانتقل النبى الكريم إلى الرفيق الأعلى وزالت خشية فرضيتها جمع عمر بن الخطاب الناس عليها وقال : نعم البدعة هذه ؟

وكذلك ما ذهب إليه كثير من فقهاء السلف والخلف من إسقاط المؤلفة قلوبهم من سهم الزكاة مع أن الآية بظاهرها قد جعلت لهم نصيباً مفروضاً منها ؛ قال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) الآية ٦٠ من سورة التوبة ، وقالوا إن إعطاءهم هذا السهم إنما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام إذ ذاك فى قلة وضعف . وقد زال ذلك بظهور الإسلام وإعزازه واستغنائه عن تأليف القلوب لدخولها فيه أو كف أذيتها عنه . ولهذا فإن الخلفاء الراشدين لم يعطوهم شيئاً . وقال عمر إنا لا نعطى على الإسلام شيئاً فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وقد اشتد فى رده الأقرع ابن حابس المجاشعى وعيينة بن حصن الفزارى فى خلافة الصديق رضى الله عنه وقال لهما : اذهبا واجهدا جهدكما ، لا أرعى الله لكما إن رعيتما . لقد تألفكما رسول الله والإسلام قليل

وقد تغيرت اليوم الأوضاع الاجتماعية للأمم وأصبح الرق السائد فى الأمس يكاد أن يتواضع الناس اليوم على أنه إضرارٌ وجريرة كبرى . فهل لنا يا سيدى الأستاذ فى مجاراة هذه الحالة السائدة اليوم أن نمنع الرق فى الشريعة الإسلامية كما منعنا سهم المؤلفة لزوال المقتضيات والأسباب ؟

وتقبلوا فائق التحية والاحترام .

محمد كامل الحمامى
نزيل القاهرة

تصحيح مثل

قرأ البلاغيون فى بعض الكتب من ضمن الأمثال قول القائل : « النحو فى الكلام كالملح فى الطعام » وهو قول كما ترى فاسد خاطئ ، فأتعبوا أنفسهم فى نقده وتشريحه ، وإيراد التأويلات المختلفة لتصحيحه وتسويغه ؛ فقال الخطيب القزوينى فى كتابه (الإيضاح) ما نصه : « وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان — يعنى المشبه والمشبه به — علم فساد جعله فى قول القائل : (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً ، لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانهما فى الملح ، وذلك بأن يجعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً ، فإن وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه ، وانتفى الفساد عنه ، وصار



سمبر ايدم

عن الإنجليزية

للأستاذ فوزى الشتوى

كان الجراح « بكتل » رحيماً على غير عادته ، برغم حادثة بسيطة ، أو بعبارة أدق برغم إهمال بسيط حدث فى الليلة الماضية ، فأدى إلى وفاة رجل كان ينتظر له الشفاء . وكان الرجل من أولئك البحارة الكثيرين ، إلا أن وفاته أقلقت كبير المرضين منذ الصباح . ولم يكن سبب قلقه وفاة الرجل ، فهو يعرف الجراح « بكتل » فى مثل هذه المسائل ، ولكن جزعه كان يرجع إلى نجاح العملية الجراحية برغم دقتها وخطورتها ، وبهذا انتقل أمر شفاء المريض من يد الجراح إلى يد المرض وإلى العناية بأمر العلاج ؛ ولكن الرجل مات ، بدون سبب سوى إهمال بسيط ، ولكنه سبب كاف لإثارة سخط الجراح « بكتل » وسبب كاف لإسماع كبير المرضين قوارص الكلام ، ثم إرسال موجة من الاضطراب بين صفوف جميع المرضين والمرضات لمدة ٢٤ ساعة كاملة

وعلى رغم هذا كله كان الجراح « بكتل » رحيما على غير عادته ، فعند ما أخطره كبير المرضين وهو يرتجف رعباً بوفاة الرجل الفجائية لم تنفرج شفتاه عن كلمة تقريع أو لوم ، وظلتا مضمومتين فانسابت منهما علامات الغضب بسكون لم يقطعه إلا سؤاله المستبشر عن صحة الرجل الآخر . ولم يصدق الممرض ما سمع فمن المستحيل أن يكون الدكتور سمع الموضوع فأعاد شرحه

ففقد الدكتور « بكتل » صبره وقال : فهمت . فهمت ، وماذا جرى لسمبرايدم ، هل هو مستعد لمغادرة المستشفى ؟

— نعم ياسيدى وهم يساعدونه الآن على ارتداء ملابسه .

قال كبير المرضين مكملاً تقريره مسروراً لأن السلام يستقر بين جدران المستشفى :

فلم يكن للأرواح عند الدكتور « بكتل » من قيمة ، وكان فقدها أحد حوادث المهنة التى لامفر منها ؛ أما الحالات وخصوصاً الحالات الغريبة ، فقد كانت كل شيء لديه . ولهذا عوضه شفاء سمبر ايدم عن وفاة البحار

أطلق الناس على الدكتور « بكتل » اسم الجزار . أما زملاؤه

منتفعاً به فى فهم المراد منــه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به . فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لاشتراكهما فى ذلك ... »

والحق أننى لم أسترح إلى قبول هــذا التوجيه الذى ذكره الخطيب لتصحيح المثل ، وبقيت منه على علة ؛ وبينما كنت أقرأ فى كتاب « نفائس المجالس السلطانية » الذى نشره الدكتور عبدالوهاب عزام ضمن كتابه الأخير « مجالس السلطان الغورى » ؛ إذا بى أقف على تحريف فى المثل السابق ، وأعلم أن صحته كما جاء فى الصفحة الثامنة والستين من كتاب النفائس المذكور إذ وردت فيه هذه العبارة :

قال بعض الحكماء : الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام !

ومن اليسير على القارئ أن يدرك جمال المعنى فى قول ذلك الحكيم : « الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام » فإن الكلام إذا خلا من الهزل المباح المحمول كان جافاً ثقيلاً ، وكانت النفوس أسرع إلى النفور منه والعزوف عنه ، وقد كان النبى صلوات الله عليه يمزح أحياناً ؛ وإن كان لبلاغته وتمكنه وعصمته لا يقول فى مزاحه إلا حقاً . وإذا زاد الهزل فى الكلام كان ذلك أدعى إلى الإفحاش فيه ، والخروج به إلى المجانة والهذر . ولعل مما يستأنس به لذلك قول الرسول الكريم : « كثرة الضحك تميت القلب » وقوله ما معناه : « كثرة المزاح تسقط الهيبة » .

وبذلك يتضح أن التشبيه — بعد التصحيح السابق — قد استكمل شرائطه ، وصار له من الجمال والدقة ما له .

فليُرح البلاغيون أنفسهم ، وليستبدلوا كلمة « النحو » بكلمة « الهزل » فيستقيم لهم المثل ، وفوق كل ذى علم عليم .

« البجلات » أحمد الشرباصى

فكانوا يعتقدون أنه لم يقبض على مبضع الجراح رجل أجرأ ولا أكفأ منه . لم يكن رجلاً خيالياً ولا عاطفياً ، بل كانت طبيعته علمية مضبوطة وصادقة . لم يكن الرجال في عرفه سوى ودائع لا شخصية لها ولا قيمة ، إلا أن أمره كان يختلف في الحالات الغريبة ، فكلما كان الرجل محطما ، وكلما قل الأمل في شفائه زادت أهميته في عيني الدكتور بكتل ، فهو يتخلى عن شاعر الملك إذا كانت حادثته عادية ليعنى بأمر متشرد تحدى جميع قوانين الحياة ورفض أن يموت

وهكذا كانت الحال في حالة سمير ايدم . لم تجذب الدكتور بكتل غرابة أطوار سمير ايدم ولا صمته ، ولم يحاول إزاحة الستار عن مأساة غرامه كما حاول الصحافيون إثارة الناس دون جدوى في صحف الأحد . لم يثر شيء من هذا اهتمام الدكتور بكتل ، وإنما أثار اهتمامه أن رقبة سمير ايدم قطعت ، وفي هذه النقطة وحدها تركزت كل لذته ، فقد قطعت من الأذن إلى الأذن ، وما كان جراح واحد من ألف ليرى بارقة أمل في شفائه ، ولكنه بفضل عربات الإسعاف السريعة وبفضل الدكتور بكتل عاد مرة أخرى إلى الحياة التي حاول أن يتركها

وعندما عرضت الحالة على مساعدي الجراح بكتل هزوا رؤوسهم وقالوا محال ، فقد أصيبت الحنجرة والقصبة الهوائية والعنق بأضرار بالغة فضلاً عن كمية الدماء الكبيرة التي نزفت . وبناء على هذه النتيجة جرب الجراح بكتل عدة وسائل ، وأجرى عدة عمليات جعلت زملاءه برغم تضامنهم في الفن يقفون مشدوهين وأكثر من هذا أن الرجل شفي

وهكذا مر اليوم في المستشفى بسلام دون أن يسوده الاضطراب والذعر نتيجة لتقرير كبير المرضين . فقد كان من الأمور السارة أن يغادره في ذلك اليوم سمير ايدم صحيحاً معافى ، بل إن جثة الطفل الذي صدمه الترام فمجنتها لم تؤثر على المرح السائد ولم ترسل موجة الأسف العادية

وأثارت قضية سمير ايدم إعجاب كثيرين، وأثارت كثيراً من اللغط ؛ فقد وجد في أحد منازل الإحسان مقطوع الرقبة والدم ينزف منها فتساقطت نقطة على الغرفة السفلى فدب الذعر في صفوف سكانها ؛ وكان من الواضح أنه فعل فعلته وهو واقف ورأسه منحن إلى الأمام حتى يظل نظره موجهاً إلى صورة موضوعة على طاولة ، ومسندة إلى شمعدان ، فأتاح هذا الوضع للجراح بكتل أن يتم معجزته . فلو تغير الوضع وكان انحناء الرأس إلى الخلف، لتمددت الأوعية المنقية وتم الانتحار على خير ما يرام ، ولفقد الجراح بكتل لذة تنفيذ أعجوبته

ومضى سمير ايدم طول مدة عودته إلى الحياة في المستشفى دون أن ينبس بكلمة ؛ حتى ضابط البوليس لم يظفر من شفتيه بأية معلومات أو تفاصيل . ولم يعثر على إنسان واحد عرفه أو تحدث إليه ؛ فقد كان ظاهرة غريبة شاذة . دلت ملابسه على أنه من أحط طبقات العمال ، ولكن يديه دلتا على يدي رجل مهذب . وفحصت ملابسه قطعة قطعة فلم يعثروا فيها على ورقة واحدة أو دليل واحد يدل على ماضيه أو مركزه الاجتماعي ، فلم يكن لديهم إلا الصورة الفوتغرافية

أما المرأة التي كانت تنظر من خلال الصورة فكانت بديعة صافية الجمال تلتقي عيناها بعيني المحدق فيها . وعبثاً بحث المخبرون السريون عن اسم مصورها ؛ فقد كانت من تصوير أحد الهواة . وفي أحد الزوايا ظهر خط نسائي دقيق كتب « سمير ايدم ، سمير الأمين » باللاتينية ؛ وكما يذكر كثيرون كان وجهها من الوجوه التي لا ينساها الإنسان أبداً . نشرت صورتها في عدة جرائد رئيسية ؛ ولكن مثل هذا الإجراء لم يظهر دليلاً جديداً وإن أثار فضول الجمهور ووفر المجال أمام الصحفيين للفروض والتخمينات

واشتهر المنتحر المنقذ باسم سمير ايدم لزوار المستشفى وفي العالم أجمع ؛ فهو لم يحاول تغيير هذا الإسم . وتعب الصحفيون ورجال البوليس والمرضون في استطلاع أمره ، ولكن شفتاه لم تنفرجا عن كلمة واحدة رغم بريق عينيه الذي كان يدل على أن أذنيه سمعتا وأن عقله أدرك ما وجه إليه من أسئلة . وأخيراً أهملوه وبقي له إسم سمير ايدم

إلا أن هذا الغموض الهائل والغرام العنيف لم يكن له معنى عند الجراح بكتل عند ما استدعى مريضه إلى مكتبه ، فهذا الرجل في عرفه هو الأعجوبة التي تمت على يديه فعمل فيه ما اعتبره فن الجراحة مستحيلاً ، دون أن يهتم باسم الرجل أو ماضيه ، بل كان من المحتمل ألا يطلب رؤيته مرة ثانية ، ولكنه في هذه اللحظة كان كفنان يحدق في المخلوق الذي أوجده . فقد أراد أن يرى صنع يديه وعقله للمرة الأخيرة

واحتفظ سمبر ايدم بصمته ؛ وكان يبدو عليه السرور لبارحته المستشفى دون أن يفوز منه الجراح بكلمة ، وإن كان في الواقع لم يهتم بصمته أو كلامه ، وكل ما عمل أن اختبر رقبة المريض بدقة، فتحسس أثر التحام الجرح البشع الطويل متمهلاً كأنه أب يحنو على ولده . ولم يكن المنظر مريحاً ، إذ كان يمثل خطاً يلف حول الرقبة ويختفي تحت الأذنين كما لو كان صاحب هذه الرقبة خارجاً من تحت حبل المشنقة

وصبر سمبر ايدم على هذا الاختبار كأنه أسد سجين ، فكل رغبته أن يختفي عن أعين الناس . وأخيراً قال الجراح بكتل وهو يضع يده على كتف الرجل ويختلس نظرة أخيرة إلى صنع يديه :

— حسن ! لن أحجزك . ولكن دعني أقدم إليك نصيحة صغيرة : عند ما تحاول قطع رقبتك مرة ثانية إرفع ذقنك ولا تلقها إلى الأمام ثم اذبح نفسك كبقرة

ولمت عينا سمبر ايدم علامة على أنه سمع وفهم ؛ وبعد لحظة كان باب المستشفى يغلق خلفه

كان ذلك اليوم أحد أيام الجراح بكتل المليئة بالعمل ، فلم يتح له أن يشعل سيجاره الكبير إلا بعد أن أوشك العصر أن ينتهي . وكان آخر حادث عرض عليه حادث رجل بجمع الحرق كسرت إحدى عظام كتفه . تخلص منه بسرعة وجذب نفساً طويلاً من سيجاره وأوشك أن يغادر طاولته ، وما كادت رائحة الدخان وأشكاله البيضاء تنتشر في جو الغرفة حتى سمع صوت جرس إحدى سيارات الإسعاف السريعة يطن في أذنيه منبعثاً من نافذة الغرفة المطلة على الشارع ، وتبعها دخول نقالة تحمل إنساناً جديداً

ووضع الجراح بكتل سيجاره في مكان أمين وقال : « ضعه على المشرحة . ماذا حدث ؟ »

فقال أحد حاملي النقالة : « حادث انتحار بقطع الرقبة في زقاق مورجان ، وأعتقد أن الأمل ضعيف وأنه مات تقريباً »

« حسن سأراه على أية حال »

ومال الطبيب الجراح على الرجل في اللحظة التي اهتز فيها جسمه هزته الأخيرة وأسلم الروح . وما كاد كبير الممرضين يراه حتى قال : « إنه سمبرايدم ! عاد مرة ثانية »

فقال الجراح : « نعم ولكنه رحل . ولا فائدة هذه المرة فقد أتقن التنفيذ . نفذ نصيحتي حرفياً . خذه إلى معرض الموتى »

ووضع سيجاره بين شفتيه ثم أعاد إشعاله وقال لكبير الممرضين من ثنايا الدخان المتصاعد : « هذا يعادل الرجل الذي فقدته أنت في الليلة الماضية ، فنحن متساويان الآن »

فوزي الشتوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)